

# تفسير نبوة يونان

تأليف
متى هنرى

ترجمة
القمص مرقس داود

# تفســـير

# نبـــوة يـــونـــان

تأليف

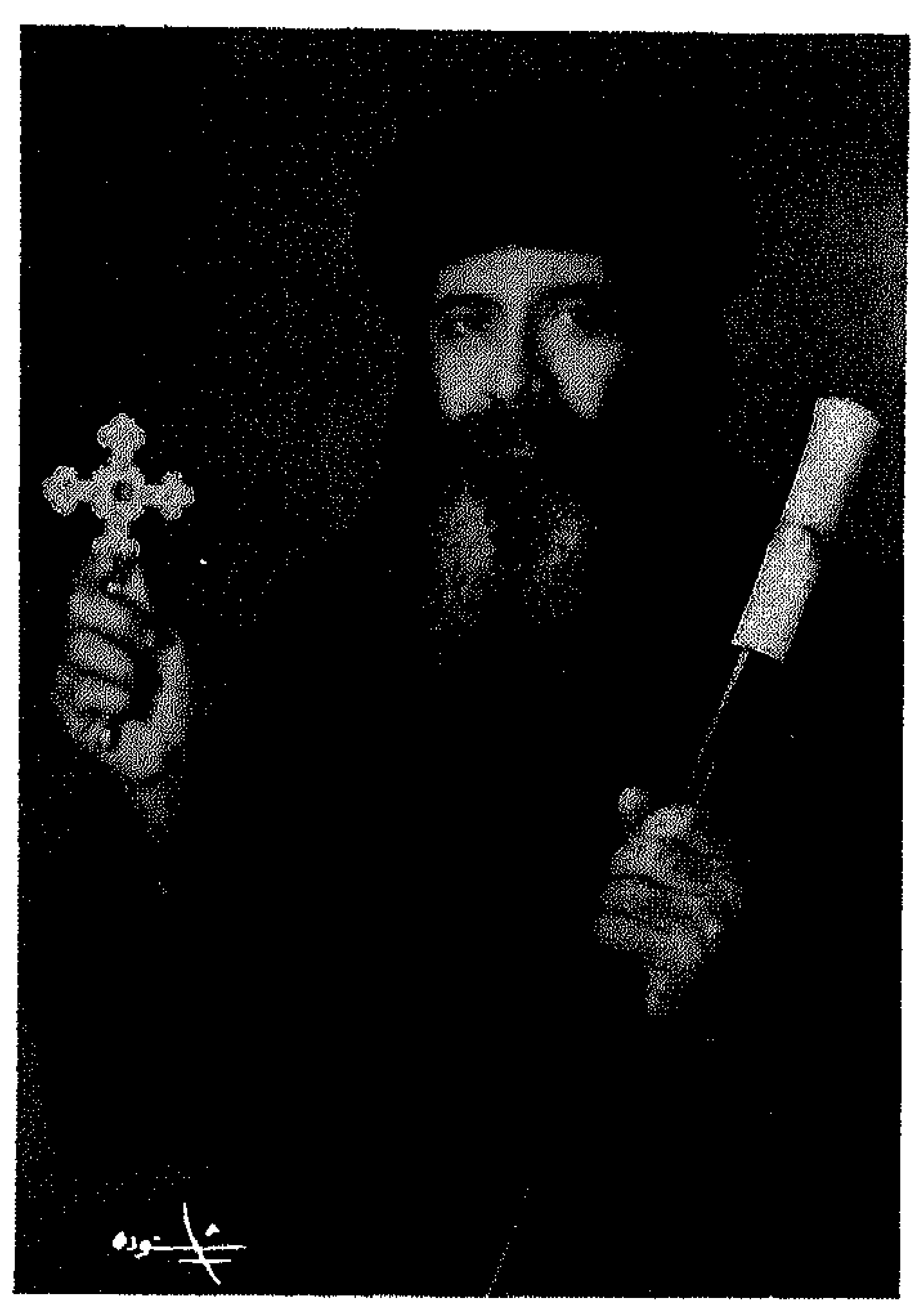
مـــتى هنـــرى

تعريب

*القس مرقس داود*

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة




قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

# الفهـــــرس

## مقدمة المعـــرب

يحق لنا بأن نطلق على هذه النبوة أسم **«سفر العناية الإلهية»**، إذ يتبين فيها بوضوح كامل تدخل الله في كل خطوة من حياة يونان، حلوها ومرّها.

فإنه لما تمرّد يونان على الله وعصى أمره الذى أصدره إليه للذهاب إلى نينوى، وركب السفينة التى وجدها ذاهبة إلى ترشيش، ظن أنه نجح فى الهروب من وجه الرب. لكن سرعان ما تعقبه العدل الإلهى، وأوقفه عن مسيره، **«فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر»**، وعجزت السفينة عن مواصلة سيرها. وعندما اتضح للنوتية أن الريح أرسلت من أجل تمرد يونان على الله ألقوه فى البحر لكى ينجوا السفينة ومن فيها.

وهنا نرى العناية الإلهية تتدخل مرة أخرى **«فأعد الله حوتاً عظيماً ليبتلع يونان»** فابتلعه فعلاً.

وبعد ذلك **«أمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر»**، وأعاده إلى نفس المكان الذى هرب منه. ولما كرر الرب الدعوة إليه للذهاب إلى نينوى ذهب وكرز لها، فتابت بمناداته ورفع الرب غضبه عنها.

ساء ذلك جداً فى عينى يونان، فهرب إلى البرية فى غيظه الشديد. لكن الرب شفق عليه بسبب حرارة الجو الشديدة فى الصحراء، **«فأعد الرب الإله يقطينه فأرتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسه»**.

وبعد ذلك **«أعد الله دودة فضربت اليقطينة فيبست»** وأخيراً **«أعدّ الله ريحاً شرقية فضربت الشمس على رأس يونان»**

ومن كل هذا نتعلم :

(١) أن العناية الإلهية تتدخل فى كل الأحداث التى تحل بأولاد الله. وأنه لا مجال للصدفة فى حياتهم. قد يبدو بأن هبوب ريح شديدة، أو ابتلاع الحوت ليونان، أو وجود يقطينة فى الصحراء فجأة، أو وجود دودة أو هبوب ريح شرقية، أمور حدثت من باب الصدفة. لكن الكتاب يبين هنا بصراحة تامة بأن يد الله هى التى تدخلت فى كل هذا.

(٢) أن يد الله تتدخل فى الأحداث التى يجوزها أولاده لكى يتمم بها لهم قصداً خاصاً رحيماً، حتى فى الأحداث التى تبدو مدمرة، كهبوب ريح عاصفة تكاد تغرق السفينة، أو فى إلقاء يونان فى البحر، أو إلقاء يوسف فى السجن، أو إلقاء دانيال فى الجب، أو إلقاء الفتية الثلاثة فى أتون النار المحمى سبعة أضعاف ... الخ.

فليعطنا الرب العين المفتوحة لكى نرى مقاصده الروحية فى كل ما يحدث معنا، حتى وإن كان الأعداء هم الذين رتبوا هذه الأحداث قاصدين بها لنا شراً. وعندئذ نستطيع أن نردد ما قاله يوسف لاخوته **«أنتم قصدتم لى شراً أما الله فقصد به خيراً»** (تك ٥٠ : ٢٠)

*القس مرقس داود*

٩ إبريل سنة ١٩٧٠ م

أول برمودة سنة ١٦٨٦ ش

## مقدمة

رغم أن هذا السفر وضع بين أسفار الكتاب المقدس النبوية فإنه يعتبر بالأحرى سفراً تاريخياً لا نبوياً. إنه لا يتضمن سوى نبوة واحدة **«بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى»**.

وأما باقى السفر فيعتبر مقدمة لهذه النبوة، وأنباء عن نتائجها. فى وسط النبوات الغامضة التى وردت قبل هذا السفر وبعده، والتى تتضمن أشياء غامضة، وعسرة الفهم، ومحيرة للعلماء، وطعاماً قوياً للأقوياء، يأتى هذا السفر الواضح الجميل، فليتذ به أضعف الضعفاء، وهو بمثابة اللبن للأطفال.

والأرجح أن يونان نفسه هو الذى كتب هذا السفر. وقد سلك كموسى وغيره من كتبة الكتاب المقدس، إذ دوّن أخطاءه، الأمر الذى يعتبر دليلا على أنهم قصدوا مجد الله لا مجدهم.

فى (٢ مل ١٤ : ٢٥) نقرأ عن يونان هذا أنه كان **«من جت حافر»** التى فى الجليل، وهى مدينة ضمن أملاك سبط زبولون، فى ركن بعيد عن أرض إسرائيل، لأن الروح، الذى كالريح، **«يهب حيث يشاء»** يجد بسهولة يونان فى الجليل كما يجد إشعياء فى أورشليم.

ونجد أيضاً أنه كان رسول رحمة لإسرائيل فى أيام حكم يربعام الثانى، لأن نجاحه فى **«رد تخم إسرائيل»** قيل عنه إنه كان **«حسب كلام الرب إله إسرائيل الذى تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاى النبى»** (٢ مل ١٤ : ٢٥).

هذه النبوات ( عن نجاح يربعام) لم تدون فى أى سفر، أما هذه النبوة عن نينوى فقد دونت فى هذا السفر خصيصاً من أجل المسيح، الذى كان يرمز إليه يونان.

ويتضمن السفر أيضاً أمثلة بارزة عن ضعف الطبيعة البشرية فى يونان، وعن رحمة الله فى الصفح عن الخطاة التائبين، الأمر الذى يشهد له أهل نينوى، وفى احتمال القديسين المتذمرين، الأمر الذى يشهد له يونان،

# * الإصحاح الأول *

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

فى هذا الاصحاح نجد :

(١) أمرا يصدر إلى يونان ليكرز فى نينوى ع ١ ، ٢

(٢) تمرد يونان وعصيانه لهذا الأمر ع ٣

(٣) ومن أجل هذا العصيان طاردته عاصفة وألقت القبض عليه، إذ كان نائما ع٤-٦

(٤) وقد تبين أن هذه العاصفة بسببه وبسبب عصيانه ع ٧ - ١٠

(٥) إلقاءه فى البحر لتهدئة العاصفة ع ١١ - ١٦

(٦) نجاته المعجزية بدخوله فى بطن حوت ع ١٧ . وبهذا حفظ يونان لخدمات أخرى

---

١ وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاى قائلا ٢ قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى.

٣ فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب.

هنا نلاحظ

١ ـ الشرف الذى وضعه الله على يونان إذ كلفه بالذهاب إلى نينوى والتنبؤ عليها. كلمة «**يونان**» تعنى «**حمامة**». وهذا اسم يناسب كل أنبياء الله، وكل شعبه، الذين يجب أن يكونوا «**بسطاء كالحمام**»، وأن يحزنوا

كالحمام من أجل خطايا ونكبات البلاد: **«نزأر كلنا كدبة. وكحمام هدراً نهدر(١)»** (إش ٥٩ : ١١).

كان اسم أبيه **«أمتاى»**، أى **«حقى»**. لأن أنبياء الله يجب أن يكونوا أبناء الحق

**«صار قول الرب إلى يونان»**. إن قول الرب، أو كلامه، كلام حقيقى، أما كلام الناس فهو كالهواء. كان يونان قبلا خبيراً بكلمة الرب، وكان يميز صوته من صوت الغريب. وكانت الأوامر التى صدرت إليه وقتئذ هكذا : **«قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة»** ع٢.

كانت نينوى وقتئذ عاصمة مملكة أشور، وكانت مدينة عظيمة (تك ١٠ : ١١). وكان يبلغ محيطها ثمانية وأربعين ميلا، ويرى البعض أنه كان أكثر من هذا. وكان عدد سكانها عظيماً جداً كما يتضح من كثرة عدد أطفالها (ص ٤ : ١١). وكانت عظيمة الثروة إذ لم تكن هنالك حدود لمخازنها (نا ٢ : ٩). وكانت عظيمة فى القدرة والسلطان، فكانت هى المدينة التى **« تسلطت على ملوك الأرض»** وقتاً ما.

لكن المدن العظيمة، كالأشخاص العظماء، كائنة تحت سلطان الله. كانت نينوى مدينة عظيمة، ومع ذلك كانت مدينة وثنية، لا تعرف شيئاً عن الله الحق، ولا عن عبادته. وكم من المدن العظيمة، والأمم العظيمة، تجلس فى الظلمة ووادى ظلال الموت.

---

(١) "نحزن حزناً شديداً" حسب الترجمة الانكليزية. هدر الحمام = صوت الحمام (مختار الصالح)

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

كانت هذه المدينة العظيمة مدينة شريرة : **«لأن قد صعد شرهم أمامي»**. كان شرهم بإصرار وتعمد، وكانوا يخطئون **«بيد رفيعة»** (عد ١٥ : ٣٠). إنه لأمر محزن جداً أن نفكر في الخطايا العديدة جداً التي ترتكب في المدن العظيمة، التي يوجد فيها خطاة كثيرون، الذين لا يكتفون بارتكاب الخطية، يدفعون غيرهم إليها.

**«قد صعد شرهم»**. أي إنه قد صعد إلى ارتفاع شاهق جداً، وامتلأ المكيال إلى الحافة **«قد صعدت شرهم»**، ولذلك حان الوقت لينزل الإنتقام.

أو **«قد صعد صراخ شرهم»** كما كان الحال مع سدوم (تك ١٨ : ٢٠, ٢١).

**«صعد أمامي»** أو **«أمام وجهي»** (حسب النص الأصلي). إنه إساءة جريئة لله، وإساءة واضحة. إنه خطية موجهة إليه. لذلك كان يجب أن يصرخ عليها يونان **«ناد عليها١)»**. يجب أن يشهد على شرهم العظيم، ويحذرهم من الهلاك الذي كان قادماً عليهم بسببه. كان الله خارجاً إليها، فأرسل قدامه يونان ليشهر الحرب، ويبوق ببوق الإنذار. **«ناد بصوت عالٍ. لا تمسك»** (إش ٥٨ : ١). كان يجب أن لا يهمس برسالته في ركن مهجور، بل أن يذيعها في شوارع نينوى. **«من له أذن للسمع فليسمع»** ما يقوله الله بنبيه على هذه المدينة الشريرة. عندما يصعد صراخ الخطية إلى الله يخرج صراخ الانتقام على الخاطئ.

كان يجب أن **«يذهب إلى نينوى»**، وينادي هناك، في نفس المكان،

---

"اصرخ" حسب الترجمة الانكليزية.

على شرها. كان الأنبياء الآخرون يؤمرون بتوجيه رسائلهم إلى الأمم المجاورة. وكانت نبوة ناحوم بصفة خاصة **«وحياً على نينوى**(١)**»**. أما يونان فقد كان يجب أن يذهب ويحمل الرسالة بنفسه

**«قم»** عاجلا، وتمم المهمة بسرعة وبشجاعة، وبالعزم الذى يليق بنبى. **«قم اذهب إلى نينوى»**. إن الذين يذهبون لإتمام أية مهمة لله يجب أن يقوموا ويذهبوا، أن يتحركوا لإتمام العمل الذى عينه لهم الله. لقد أرسل الأنبياء أولا إلى **«الخراف الضالة من بيت إسرائيل»**. لكن ليس لهم فقط، فان لهم خبز البنين، أما نينوى فانها تأكل من الفتات.

٢ ـ الإهانة التى وجهها يونان إلى الله إذ رفض إطاعة أوامره للذهاب فى هذه المهمة التى كلفه بها ع ٣. **«فقام يونان ليهرب إلى ترشيش»** بدلا من القيام ليذهب إلى نينوى. لم يكن يقصد أى ميناء بالذات، لكنه إنما أراد أن يهرب **«من وجه الرب»**. وإذا ما أفلح فى هذا فكان لا يهمه المكان الذى يذهب إليه. ليس كأنه ظن أنه يمكن الذهاب إلى مكان لا يراه فيه الله، بل لأنه أراد أن يهرب من روح النبوة التى إذا ما وضعته فى هذه المهمة فإن عين الله تترقبه، ولذلك أراد أن يهرب من أن يسمع صوت الله.

يظن البعض أن يونان قد هرب بناء على اعتقاد بعض اليهود بأن روح النبوة محصور فى أرض إسرائيل (الأمر الذى تبين خطؤه فعلا فى أيام حزقيال ودانيال). ولهذا أراد التخلص من روح النبوة بالخروج من حدود

---

(١) "ثقل نينوى" حسب الترجمة الانكليزية، "وقر نينوى" حسب ترجمة اليسوعيين. الوقر بفتح الواو الثقل فى الأذن، وبكسرها الحمل (مختار الصحاح)

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

**أرض إسرائيل**

(١) لقد رفض يونان الذهاب إلى نينوى للمناداة عليها، إما لأن الطريق إليها كان طويلا وخطراً، وهو لا يعرف هذا الطريق، أو لأنه كان يخشى أن تكلفه هذه المهمة خسارة حياته عندما يبلغ تلك الرسالة الإليمة لتلك المدينة العظيمة الجبارة. لقد استشار **«لحماً ودماً»** فرفض المهمة لأنها كانت خطرة، أو لأنه كان غيوراً على امتيازات مملكته، ولم يشأ أن تشاركها أمة أخرى فى شرف الإعلانات الإلهية. كان يخشى أن تكون هذه بداية انتقال ملكوت الله من اليهود إلى أمة أخرى تصنع ثماراً أكثر.

وهو نفسه اعترف فى (ص ٤ : ٢) أن سبب رفضه هذه المهمة هو أنه رأى مقدماً بأن أهل نينوى، وهى مدينة أممية، سوف يتوبون فيصفح الله عنهم ويقربهم إليه، فتكون وصمة عار على شعب إسرائيل الذين ظلوا طويلا شعب الله الخاص.

(٢) من أجل هذا ذهب إلى **«ترشيش»**، أو إلى **«طرسوس»** فى كيليكية، كما يظن البعض. ربما لأنه كان له أصدقاء وأقارب بها، فأراد أن يقضى معهم بعض الوقت.

**«فنزل إلى يافا»** وكانت ميناء مشهورة فى أرض إسرائيل، بحثاً عن **«سفينة ذاهبة إلى ترشيش»** فوجد هناك سفينة. كان يبدو أن العناية الإلهية حققت قصده، وهيأت له الفرصة للهروب. قد نهرب من إتمام واجبنا، ومع ذلك نلتقى بما يسهل لنا عملية الهروب. ليس الطريق المفتوح دائماً هو الطريق الصحيح. لعله وجد السفينة تتأهب لكى تقلع إلى ترشيش، ولهذا لم يضيع أى وقت.

أو ربما يكون قد قصد الذهاب إلى ترشيش لأنه وجد السفينة ذاهبة إليها. وإلا فقد كانت كل البلاد تستوى معه. لم يفكر فى أنه ضل الطريق، الطريق الذى أراد أن يسلكه، طالما أنه لم يكن هو الطريق الذى كان ينبغى أن يسلكه.

**«فدفع أجرتها»** أى أجرة السفينة. لم تكن الأجرة تهمه طالما كان يضمن نجاح قصده، **«ويهرب من وجه الرب»**.

**«ونزل فيها ليذهب معهم»** أى مع البحارة، ومع المسافرين، ومع التجار، الذين كانوا يقصدون ترشيش. إذ نسى يونان كرامته، ونسى مهمته، التصق بهم، **«ونزل فى السفينة ليذهب معهم إلى ترشيش»**.

انظر إلى أى حد يصل أفضل الناس عندما يتركهم الله إلى أنفسهم، وانظر شدة حاجتنا، عندما تأتينا كلمة الرب لكى يأتنا روح الرب مع الكلمة ليخضع كل فكر لإطاعتها. **«لقد اعترف النبى إشعياء بأنه لم يعاند ولم يرتد إلى الوراء، ليس فقط لأن الله تكلم معه، بل لأنه فتح له أذناً»** (إش ٥٠ : ٥).

فلنتعلم من هذا أن **«نكف عن الإنسان»** (إش ٢ : ٢٢) وأن لا نعتمد على أنفسنا أو على الآخرين فى وقت التجربة، بل **«من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط»** (١ كو ١٠ : ١٢).

٤ فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر ٥ فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه طرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم. وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوم ثقيلاً ٦ فجاء إليه رئيس النوتية

وقال له مالك نائماً. قم أصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك ٧ وقال بعضهم لبعض هلم نلقى قرعاً لنعرف بسبب من هذه البلية. فألقوا قرعاً فوقعت القرعة على يونان ٨ فقالوا له أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا. ما هو عملك ومن أين أتيت. وما هى أرضك ومن أى شعب أنت ٩ فقال لهم أنا عبرانى وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البحر والبر ١٠ فخاف الرجال خوفاً عظيماً وقالوا له لماذا فعلت هذا. فان الرجال عرفوا أنه هارب من وجه الرب لأنه أخبرهم.

عندما صعد يونان إلى ترشيش، ظن أنه نال مقصده. لكننا نجده هنا يُطارد وينغلب، ويكتشف أمره بأنه هارب من الله كشخص متمرد.

(أولاً) لقد أرسل إليه ما يطارده **«ريحاً شديدة إلى البحر»** ع ٤. الله يحفظ **«الريح فى خزائنه»** (مز ١٣٥ : ٧). ومن هذه الخزائن **«أرسل الرب ريحاً شديدة»**. حتى **«الريح العاصفة تتمم كلمته»** (مز ١٤٨ : ٨)، وكثيراً ما كانت تحمل غضبه. هو **«يجمع الريح فى حفنتيه»** (أم ٣٠ : ٤) حيث يمسكها، وإن أراد فأنه يطلقها من حفنتيه. ومع أنه، بالنسبة لنا، **«الريح تهب حيث تشاء»** فانها، بالنسبة لله، تهب حيث يوجهها هو.

وكانت نتيجة هذه الريح أنه **«حدث نوء عظيم»**، لأنه حيثما هبت الريح ثارت الأمواج.

(ملاحظة) الخطية تثير العواصف والأنواء فى النفس، وفى الأسرة، وفى الكنائس، وفى الأمم. إنها تثير القلق والاضطراب

واشتد النوء جداً **«حتى كادت السفينة تنكسر»**. لم يتوقع النوتية غير هذا. وتوقعوا أن السفينة وحدها، دون غيرها، هى التى تعرضت للخطر.

كانت هنالك فى نفس البحر، فى نفس الوقت، سفن أخرى، ومع ذلك فان السفينة التى كان يونان فيها كان يخبطها الريح أكثر من غيرها، وتعرضت للخطر أكثر من غيرها. لقد أرسلت الريح وراء يونان لتعيده إلى الله وإلى واجبه المقدس. وإنها لرحمة جزيلة أن نستدعى ونعاد إلى بيوتنا وأوطاننا عندما نضل، حتى وإن تم هذا بعاصفة شديدة.

(ثانياً) ولقد انزعج البحارة من هذه العاصفة الشديدة. أما يونان وحده، وهو المقصود بالذات، فانه لم يكترث ع٥. لقد تأثر البحارة بسبب الخطر المحدق بهم، مع أن الله لم يثر هذه الخصومة بسببهم.

١ ـ **«فخاف الملاحون»**. مع أن مهنتهم جعلتهم خبيرين بالأخطار التى من هذا النوع، فيستخفون بها، إلا أن أكثرهم خبرة ودراية وشجاعة بدأوا يرتعدون، إذ أدركوا أن هنالك شيئاً غير عادى فى هذه العاصفة، فقد هبت فجأة، وثارت بعنف

(ملاحظة) يستطيع الله أن يلقى رعباً وفزعاً فى أكثر الناس شجاعة، ويجعل العظماء والأبطال يختبئون فى الصخور والجبال.

٢ ـ **«وصرخوا كل واحد إلى إلهه»**. كان هذا نتيجة خوفهم. كثيرون لا يلجأون للصلاة إلا إذا دفعهم إليها الخوف. ومن يريد أن يتعلم بأن يصلى فليذهب إلى البحر. **«يارب فى الضيق طلبوك»**(إش ٢٦ : ١٦). **«كل واحد»** منهم صلى. لم يصلِّ البعض، بينما كان الآخرون يجدفون. بل كان الجميع يصلون. كما كان الخطر عاماً هكذا كان الالتجاء إلى السماء عاماً. لم يصلِّ واحد من أجل الجميع، بل صلى كل واحد لأجل نفسه.

**«وصرخوا كل واحد إلى إلهه»** ، إلى إله مملكته أو مدينته، أو إلى إلهه الحارس إنها لشهادة ضد الوثنية أن يكون لكل واحد إلهه، وأن يعتقد فى إله خاص. وإنه لدليل على حماقة الوثنية أن تكون لهم آلهة كثيرة، وأن يكون لكل واحد الإله الذى يتخيله. مع أنه لا يمكن أن يوجد إلا إله واحد، ولا داعى لغيره.

ومع أنهم حرموا من إرشاد نور الطبيعة القاضى بأنه لا يوجد إلا إله واحد فانهم ساروا بحسب إرشاد ناموس الطبيعة أن يصلوا لله. **«ألا يسأل شعب إلهه»** (إش ٨ : ١٩) ، وأن نصلى إليه بصفة خاصة عندما نكون فى ضيقة أو فى خطر؟ **«ادعنى فى يوم الضيق انقذك فتمجدنى»** (مز ٥٠ : ١٥) . **«أعلى أحد بينكم مشقات فليصل»** (يع ٥ : ١٣) وهكذا إن تنازعته المخاوف.

٣ ـ وصلواتهم للنجاة دعمتها جهودهم التى بذلوها. بعد أن صلوا لآلهتهم لتساعدهم بذلوا كل ما فى وسعهم لمساعدة أنفسهم. لأن هذه هى القاعدة **«ساعد نفسك يساعدك الله»** . فانهم **«طرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم»** ، كما فعل بحارة بولس الرسول فى مناسبة مماثلة، إذ طرحوا حتى **«أثاث السفينة والحنطة فى البحر»** (أع ٢٧ : ١٨ ، ١٩ ، ٣٨) . يبدو أنهم كانوا فى رحلة تجارية، حاملين بضائع كثيرة كانوا يرجون من ورائها ربحاً جزيلاً. لكنهم وقتئذ فضلوا أن يخسروها كلها لكى ينجوا أنفسهم.

أنظر كيف أن المحبة الطبيعية للحياة قوية جداً. **«جلد بجلد وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه»** (أى ٢ : ٤) . أفلا يليق بأن نعرف قيمة الحياة

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الروحية، حياة النفس، واثقين بأن خسارة كل العالم لا توازى شيئاً بجانب خسارة النفس.

وانظر كيف أن ثروة العالم باطلة، وكيف أن دوام بقائها معنا أمر غير مضمون. الثروة تصنع لنفسها أجنحة وتطير (أم ٢٣ : ٥). بل قد تصل بنا الحالة لدرجة أننا نتمنى أن نصنع نحن أنفسنا لها أجنحة، ونبعدها عنا، كما نرى هنا، عندما تكون **«مصونة لصاحبها لضرره»** (جا ٥ : ١٣)، ولهذا فانه يسر بأن يتخلص منها، ويغرق تلك الثروة التى كانت مزمعة أن تغرقه، رغم أنه قد لا يؤمل أن يجددها يوماً ما.

آه، ليت الناس يكونون حكماء من جهة نفوسهم، وأن يتخلصوا من الثروة، أو الملذات، أو الأمجاد، التى لا يمكنهم الاحتفاظ بها دون تحطيم إيمانهم وضميرهم الصالح، وهلاك نفوسهم إلى الأبد ( ١تى ١ : ١٩). إن الذين يتركون مصالحهم الزمنية من أجل ضمان مصلحتهم الروحية يكونون أخيراً رابحين ربحاً جزيلاً جداً. لأن ما يضحون به الآن سوف يؤول إلى حياة أبدية.

وأين كان يونان كل ذلك الوقت؟ يتوقع المرء أنه كان يجب أن يكون مشغولاً أكثر من أى شخص فى السفينة. لكننا نجد أنه **«قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوماً ثقيلاً»**. لم توقظه الأصوات العنيفة فى الخارج، ولا الشعور بالاثم فى الداخل.

ربما يكون قد تحاشى النوم قبل ذلك خوفاً من أن يكلمه الله ثانية فى حلم. والآن، وقد توهم بأنه أصبح فى مأمن من هذا الخطر، فقد **«نام نوماً ثقيلا»**.

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(ملاحظة) الخطية تخدر الضمير، ويجب أن نحرص **«لكى لا يقسى أحد منا بغرور الخطية»** (عب ٣ : ١٣). وسياسة الشيطان، عندما يبعد الناس بتجاربه عن الله وعن واجباتهم، هى أن يخدر ضميرهم فى اطمئنان جسدى، لكى لا يحسوا بتعاستهم أو بالخطر المحدق بهم. لهذا يلزمنا أجمعين أن نسهر.

(ثالثاً) وأيقظ ربان السفينة يونان لكى يقوم ويصلى ع ٦. **«فجاء إليه رئيس النوتية»**، وأمره ـ لخزيه ـ بأن يقوم ويصلى لينجى نفسه، وليستعد للموت.

١ ـ لقد وبخه توبيخاً عادلا وضرورياً. **«مالك نائماً (١)»** ؟ هنا يمتدح رئيس النوتية الذى وجه إليه هذا التوبيخ. فمع أنه كان غريباً عنه، إلا أنه صار كواحد من أسرته لبعض الوقت. ونحن يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا لانقاذ نفوس الآخرين الغالية.

إننا لنرثى ليونان الذى احتاج لهذا التوبيخ. لأنه لو كان فى وضعه الحقيقى لكان ـ كنبى ـ قد وبخ ملك نينوى. لكنه إذ انحرف عن مركزه فقد عرض نفسه لتوبيخ رئيس نوتية بسيط.

انظر كيف أن الناس بخطيتهم وحماقتهم يصغرون أنفسهم، ويحقرون ذواتهم. على أننا يجب أن نعجب بصلاح الله إذ أرسل إليه هذا التوبيخ فى وقته، لأنه كان هو الخطوة الأولى فى توبته، كما كان صياح الديك لبطرس.

---

(١) "ما بالك مستغرقاً فى النوم" حسب ترجمة اليسوعيين، "ماذا تعنى أيها النائم" حسب الترجمة الانكليزية.

(ملاحظة) إن الذين ينامون فى العاصفة يستحقون التوبيخ

٢ ـ ثم قدم إليه نصيحة شديدة **«قم اصرخ إلى إلهك»**. نحن هنا نصرخ كل واحد إلى إلهه، فلماذا لا تقوم أنت وتصرخ إلى إلهك؟ ألا تبالى، كالباقين، بالخطر الذى يهددنا، وبطلب النجاة؟

(ملاحظة) إن صلوات الآخرين ينبغى أن تحثنا على الصلاة. والذين يطمعون فى أن يكونوا شركاء فى رحمة عامة، ينبغى أن يكونوا شركاء فى الصلوات والتضرعات التى ترفع من أجل هذه الرحمة. وإن كانت لنا دالة أمام عرش النعمة فينبغى فى وقت الضيقات العامة أن نستغلها من أجل المصلحة العامة. وخدام الله أنفسهم يحتاجون فى بعض الأحيان إلى إيقاظهم وتنبيههم لهذا الواجب.

٣ ـ ثم قدم إليه مبرراً طيباً لهذه النصيحة: **«عسى أن يفتكر الاله فينا فلا نهلك»**. يبدو أن الآلهة الكثيرة التى صرخوا إليها كانت تعتبر فى نظرهم كوسطاء بينهم وبين الإله الأعظم، وشفيعين لديه من أجلهم، لأن رئيس النوتية تحدث هنا عن إله واحد، ومنه كان يرجو الإغاثة.

ولكى يحثه على الصلاة صور الخطر بأنه عظيم وقريب. كلنا قريبون من الهلاك، وبيننا وبين الموت خطوة واحدة، ونحن نوشك أن نخطو هذه الخطوة. ومع ذلك أعتقد بأن هنالك أملا باقياً فى النجاة **«فلا نهلك»**. طالما كانت هنالك حياة فهنالك رجاء، وطالما كان هنالك رجاء فالباب مفتوح للصلاة.

واعتقد أيضاً أن الله وحده هو القادر أن ينجيهم، والنجاة تأتى من قدرته ومن شفقته. إن كان **«يفتكر فينا»** ويعمل من أجلنا فاننا ننجو. ومن أجل

هذا ينبغى أن نتطلع إليه، ونثق فيه، عندما يكون الخطر قريباً.

(رابعاً) وقد اكتشف أن يونان هو سبب هذه العاصفة

١ - لقد لاحظ الملاحون أن هنالك ناحية غير عادية إما فى العاصفة نفسها، أو فى فزعهم منها. ولذلك استنتجوا أنها لابد أن تكون قد أرسلها العدل الإلهى لافتضاح أحد الذين فى السفينة، لأنه ارتكب جريمة شنيعة، كما اعتقد أولئك البرابرة (أع ٢٨ : ٤)، وقالوا **«لابد أن واحداً منا قاتل لم يدعه العدل يحيا»** فطارده الانتقام فى البحر، ومن أجله نحن جميعاً نتعذب.

حتى نور الطبيعة يعلمنا بأن غضب الله معلن من السماء على الخطايا غير العادية، والخطاة غير العاديين، وذلك فى القصاصات غير العادية. فى أية محنة تحل بنا فى أى وقت ينبغى أن نستنتج بأن هنالك سبباً لها. لابد أن نكون قد ارتكبنا شراً، وإلا لما حلت بنا هذه المحنة. هنالك أساس لخصومة الله معنا

٢ - وقرروا أن يلقوا قرعة ليعرفوا من هو المجرم الذى تسبب فى هذه العاصفة **«هلم نلقى قرعاً بسبب من هذه البلية»**.

لم يشك أى واحد منهم فى نفسه ليقول : هل أنا يا سيد، هل أنا؟ لكنهم كانوا يشكون فى شخص آخر، فأرادوا أن يعرفوا من هو هذا.

(ملاحظة) يحسن بنا، عندما تحل بنا أية بلية، أن تعرف سبب حلولها علينا، حتى يمكن إصلاح الخطأ إن وجد. ولكى يتم هذا ينبغى أن نتطلع إلى السماء ونصلى قائلين : يارب **«لماذا تخاصمنى. ما لم أبصره فارنيه أنت»** (أى ١٠ : ٢، ٣٤ : ٣٢).

أراد هؤلاء البحارة أن يعرفوا من هو ذلك الشخص المزعج للسفينة **«فيموت عن الشعب»** ولا تهلك كل السفينة. لم يكن هذا عملا موافقاً فقط، بل كان عادلا جداً

وإتماماً لهذا **«القوا قرعاً»** ملتجئين لحكم الله، كاشف كل القلوب، الذى لا يخفى عليه خفى، ومتفقين فيما بينهم على الخضوع لما يعلنه الله، ومصدقين بأن ما تكشفه القرعة حقيقى. لأنهم عرفوا بنور الطبيعة ما يحدثنا عنه الكتاب المقدس : **«القرعة تلقى فى الحضن. ومن الرب كل حكمها»** (أم ١٦ : ٣٣). حتى الوثنيين كانوا يعتقدون بأن القرعة عملية مقدسة، ويجب أن تتم بكل احترام ووقار، دون الاستخفاف بها. إنه لأمر مخجل للمسيحيين إن كانوا لا ينظرون إلى الألتجاء للعناية الإلهية بمثل هذا الإحترام.

٣ ـ **«فوقعت القرعة على يونان»** الذى كان يمكنه أن يوفر عليهم التعب لو كان قد أخبرهم بما قاله له ضميره **«أنت هو الرجل»**. لكنه، كما هى العادة مع المجرمين، لم يعترف إلا عندما وجد أنه من المستحيل إخفاء الأمر، إذ **«وقعت القرعة عليه»**.

ربما كان فى السفينة من هو أشد خطأ من يونان فى نواح أخرى. ومع ذلك كان هو الذى قصدته العاصفة، وهو الذى وقعت عليه القرعة. لأن الابن هو الذى يؤدبه أبوه، والعبد هو الذى يؤدبه سيده، إذ ما أخطأ هذا أو ذاك. أما باقى الذين يخطئون فانهم يتركون لتأديب السماء. لقد أرسلت العاصفة ليونان لأن الله كان قد قصد له عملا يؤديه، فأرسل إليه العاصفة لكى تعيده لاتمامه

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(ملاحظة) لله طرق كثيرة لكشف الخطية والخطاة المتسترين، وإعلان الحماقة التى كان يظن أنها أخفيت عن أعين كل الأحياء. ويمين الله تكشف كل عبيده الذين يتركونه، وكل أعدائه الذين يتأمرون عليه، حتى ولو هربوا إلى أقصاء البحار، ونزلوا إلى جوف السفينة. **«يمينك تصيب (١) كل مبغضيك»** (مز ٢١ : ٨)

٤ ـ فاستجوب يونان أمام النوتية ورئيسهم. لقد كان غريباً عنهم. ولذلك لم يكن ممكناً أن يقال إنهم يعرفونه، أو يقدرون أن يوجهوا إليه أية تهمة، وكان ينبغى أن يدفعوه لكى يعترف بذنبه، ومن فمه يدينونه. لم يكن هناك داع لتعذيبه، فإن تحطيم السفينة الذى كانوا يتوقعونه كان كافياً لتخوفيه، بحيث يقول الصدق.

ومع أنه كان هو الشخص الذى كشفت القرعة بأنه هو سبب الخطر الذى هددوا به، فانهم لم يهبوا فى وجهه بعنف، الأمر الذى كان طبيعياً أن يحدث. لكنهم بهدوء وبوداعة استعلموا عن أمره. عندما يكتشف إثم الخطاة ينبغى أن يعاملوا بروح العطف والشفقة.

لم يوجهوا إليه كلاماً قاسياً، بل **«قالوا له اخبرنا»** عن جلية الأمر من فضلك. لقد استعلموا عن أمرين :

---

(١) "تكتشف" حسب الترجمة الانكليزية

(١) عما إذا كان هو نفسه يعترف بأنه هو الشخص الذى لأجله أرسلت العاصفة كما كشفت القرعة **«اخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا»**. هل حقا بسببك؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو السبب؟ ما هى الجريمة التى لأجلها طوردت هكذا؟ لعل اتزان يونان ووقاره وهيبته وسلوكه جعلتهم يشكون فى القرعة، ولذلك لم يريدوا تصديقها إلا إذا اعترف هو نفسه بإثمه. ولذلك توسلوا إليه أن يريحهم فى هذه الناحية.

(ملاحظة) على الذين يريدون معرفة سبب متاعبهم أن لا يبدأوا فقط بفحص نفوسهم، بل أن يتابعوا الفحص، يجب أن يتعمقوا لمعرفة التفاصيل، يجب أن **«يتمموا بحثاً جدياً» «يخترعون إثماً. تمموا إختراعاً محكماً»**(١) (مز ٦٤ : ٦)

(٢) وعن مميزاته، سواء فيما يختص بعمله، أو ببلاده.

[١] لقد سألوا عن عمله **«ما هو عملك»**؟ كان هذا سؤالا عادياً يوجه لكل شريد طريد. لعلهم ظنوا بأن عمله هو الذى جلب عليهم هذا التعب : هل أنت عرّاف، أو ساحر، أو منجم؟ هل استعملت السحر والشعوذة لتجلب هذه العاصفة ؟ أو ما هو العمل الذى أنت ذاهب إليه؟ هل أنت ذاهب لتعلن أحداً من شعب الله كبلعام، فأرسلت هذه العاصفة لتمنعك؟

[٢] وسألوا عن بلاده. واحد سأل **«من أين اتيت»** ؟ والثانى لم ينتظر إجابة عن هذا السؤال، فسأل **«ما هى أرضك»** ؟ والثالث سأل سؤالا بنفس

---

(١) "يبحثون عن جرائم. ويتمون بحث المبحوث عنه" حسب ترجمة اليسوعيين "يبحثون عن الجرائم. ويتمون بحثاً باجتهاد" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

المعنى **«من اى شعب انت»** ؟ هل أنت من الكلدانيين، المشهورين بالعرافة، أو من أهل البادية المشهورين بالسرقة؟ لقد أرادوا معرفة البلاد التى ينتمى إليها، حتى إذا ما عرفوا إله بلاده أمكنهم أن يدركوا عما إذا كان يقدر أن يصنع معهم رحمة إزاء هذه العاصفة.

٥ ـ وإجابة على هذه الأسئلة كشف يونان عن كل أمره.

(١) هل سألوا عن بلاده؟ لقد أخبرهم أنه **«عبرانى»** ع ٩، ليس فقط من أمة إسرائيل، بل من ديانتهم التى استلموها من آبائهم. هو عبرانى، ولذلك فانه أكثر خجلا أن يعترف بأنه مجرم. لأن خطايا العبرانيين، الذين ينتمون لديانة كهذه، ويتمتعون بامتيازات كهذه، أشنع من خطايا الآخرين، وهى خاطئة جداً.

(٢) وهل سألوا عن عمله ؟ **«ما هو عملك»** ؟ فأجابه على هذا أعطاهم وصفاً عن ديانته، لأنها كانت هى عمله، ومهمة حياته **«أنا خائف من الرب (١)»** هذا هو الإله الذى أعبده، الإله الذى أصلى له، هو **«إله السماء»**، الرب المتسلط على الجميع **«الذى صنع البحر والبر(٢)»**، والمتسلط عليهما.

ليس هو إله مملكة واحدة، كالآلهة التى كانوا يصرخون نحوها، كل واحد لإلهه، بل هو **«إله كل الأرض»** الذى إذ خلق البحر واليبس، فانه يصنع فيها أى عمل يرتضيه، ويعمل بهما أى عمل يرتضيه.

---

(١) "إنى اتقى الرب" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) "واليبس" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

لقد ذكر هذا ليس فقط ليدين نفسه من أجل حماقته فى الهرب من وجه الله هذا، بل أيضاً قاصداً أن يحول هؤلاء البحارة من عبادة آلهتهم الكثيرة إلى معرفة وإطاعة الإله الواحد الحى الحقيقى.

عندما نكون وسط من لا يتبعوننا يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا ليعرفوا الله، إذ نكون مستعدين فى كل المناسبات للإعتراف بعلاقتنا به، وولائنا له.

(٣) وهل سألوا عن جريمته التى طورد من أجلها وقتئذ؟ لقد اعترف **«بأن هارب من وجه الرب»**هارب من مهمته، وبأن العاصفة قد أرسلت لإعادته من حيث أتى. يحق لنا أن ندرك بأنه قدم لهم هذا الاعتراف مع الحزن والخجل، مبرراً الله ودياناً لنفسه، ومبيناً للبحارة مقدار عظمة الله، الذى أرسل رسولا، كهذه العاصفة، لعبد متمرد.

٦ ـ وهنا نرى التأثير الذى أحدثه هذا الاعتراف فى البحارة **«فخاف الرجال خوفاً عظيماً»** عادلا، لأنهم أدركوا :

(١) أن الله غاضب، هذا الإله **«الذى صنع البحر والبر»**. لقد أتت هذه العاصفة من يد العدالة التى أسئ إليها، ولذلك كان لهم الحق بأن يخشوا أن تقسو عليهم. إن القصاصات التى تأتى بسبب خطية معينة، تكون لها أهمية خاصة، وتحمل معها فزعاً شديداً.

(٢) أن الله غاضب على شخص يتقيه ويعبده، لكنه إنما هرب من عمله مرة واحدة، لمناسبة خاصة. وهذا ما جعلهم يخافون على أنفسهم. إن كان نبى الرب قد حل به هذا القصاص الشديد من أجل ذنب واحد، فماذا يكون مصيرنا نحن الذين ارتكبنا الذنوب الكثيرة، الشائنة ؟ **«إن كان البار بالجهد**

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

**يخلص»** هكذا، ويطارد بحرص من أجل مخالفة واحدة، «**فالفاجر والخاطئ أين يظهران**» (١ بط ٤ : ١٧ و ١٨).

«**وقالوا له لماذا فعلت هذا**» ؟ إن كنت تتقى الله الذى «**صنع البحر والبر**»، فلماذا بلغت بك الحماقة أن تتوهم بأنك تقدر أن تهرب من وجهه ؟ يا لها من غباوة لا يمكن تعليلها. هكذا وبخوه كما وبخ أبيمالك إبرهيم (تك ٢٠ : ٩ و ١٠). لأنه إن كان المتدينون يرتكبون إثماً فيجب أن يتوقعوا التوبيخ من غير المتدينين. «**لماذا فعلت هذا**» ، أو «**لماذا فعلت هذا بنا**» لماذا جلبت علينا هذا التعب.

(ملاحظة) إن الذين يرتكبون خطية عن عمد .لا يعرفون إلى أى حد تصل نتائجها السيئة، ولا يعرفون الشر الذى يتخلف عنها

---

١١ فقالوا له ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا. لأن البحر كان يزداد اضطراباً ١٢ فقال لهم خذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم لأنى عالم أنه بسببى هذا النوء العظيم عليكم

١٣ ولكن الرجال جدفوا ليرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطيعوا لأن البحر كان يزداد اضطراباً عليهم ١٤ فصرخوا إلى الرب وقالوا آه يارب لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل ولا تجعل علينا دماً بريئاً لأنك يارب فعلت كما شئت ١٥ ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر فوقف البحر عن هيجانه ١٦ فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً ١٧ وأما الرب فاعدّ حوتاً عظيماً ليبتلع يونان. فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

صار واضحا للنوتية أن يونان كان هو الشخص الذى بسببه حل بهم هذا التعب. لكن اكتشافه بأنه هو السبب فى هذا التعب لم يكن كافيا لتحقيق مطالب تلك العاصفة. لقد اكتشفوه، لكن كان ينبغى اتخاذ خطوة أخرى **«لأن البحر كان يزداد اضطرابا»** ع ١١، وتكررت نفس العبارة فى ع ١٣. لأننا إن اكتشفنا بأن الخطية هى سبب متاعبنا، ولا نتركها، فان الحالة تزداد سوءاً ومن أجل هذا استمروا فى استجوابه.

١ ـ فسألوا يونان نفسه عما يجب أن يفعلوه به ع ١١ **«ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا»**؟ لقد أدركوا أن يونان نبى للرب ولذلك لا يمكنه أن يعمل عملا، حتى إذا كان متصلا بنفسه، دون استشارة الرب. لقد اتضح بأنه أثيم، لكن اتضح أيضاً بأنه تائب. ولذلك لم يعنفوه، ولم يعاملوه معاملة قاسية.

(ملاحظة) ينبغى أن نستخدم كل رقة مع من يؤخذون فى زلة، وينالون ضيقاً بسببها.

لم يشاءوا أن يطرحوه فى البحر إن كان هو يرى طريقة أخرى مناسبة لانقاذ السفينة. أو لعلهم أرادوا أن يبينوا بأن الأمر واضح جداً وأنه لا علاج للموقف بأن يطرح يونان فى البحر. فليحكم هو على نفسه بنفسه، كما اتهم هو نفسه بنفسه، وليقل هو نفسه إنه لا توجد طريقة أخرى غير هذه.

(ملاحظة) عندما تثير الخطية عاصفة، ونصبح تحت علامات غضب الله، فينبغى أن نبحث عما يجب أن نفعله نحن. عندما نكون فى العاصفة ينبغى أن نصلى ونؤمن، ونحرص على أن نحقق الغاية التى لاجلها أرسلت العاصفة، وعندئذ يصير هدوء عظيم. بل ينبغى بصفة خاصة أن نفكر فيما

ينبغى أن نفعله بالخطية التى أثارت العاصفة، والتى ينبغى أن تكتشف، ويعترف بها بروح التوبه، وتبغض، وتترك نهائياً. يجب أن يكون هذا هو لسان حالنا : أصلبها، أصلبها، من أجل هذا الشر الذى صنعته.

(ثانياً) وحكم يونان على نفسه بنفسه ع ١٢ «**خذونى واطرحونى فى البحر**». لم يشأ أن يقفز بنفسه فى البحر، بل وضع نفسه فى أيديهم ليطرحوه فى البحر، وأكد لهم أنه بهذا «**يسكن البحر**»، وأنه لا توجد طريقة أخرى.

لقد قدم هذا الاقتراح شفقة منه على البحارة، لكى لا يتألموا بسببه. قال داود «**لتكن يدك علىّ**» أنا الخاطئ (١ أى ٢١ : ١٧) دعنى أموت بسبب خطيتى، ولا تدع الأبرياء يتألمون بسببها. هذه هى لغة التائبين الحقيقيين الذين لا يودون أن يتألم أحد غيرهم من أجل خطاياهم وجهالاتهم.

وقدمه أيضاً فى خضوع لإرادة الله الذى أرسل هذه العاصفة لتطارده. ولذلك «**حكم**» على نفسه بأن يطرح فى البحر، لأنه بوضوح رأى أن الله يحكم عليه، لكى لا يحكم عليه من الرب بالشقاء الأبدى.

(ملاحظة) إن الذين يتذللون حقاً من أجل الخطية يخضعون بسرور لإرادة الله، حتى ولو إلى الحكم بالموت.

إن اعتقد يونان بأن هذا هو قصاص خطيته فانه يقبله، ويخضع له، ويبرر الله فيه. لا يهمه «**هلاك الجسد**»، ولا كيفية هلاكه، إن كان بهذا «**تتخلص الروح فى يوم الرب يسوع**» (١ كو٥ :٥)

أما السبب الذى قدمه عن هذا الاقتراح فهو **«لأننى عالم أنه بسببى هذا النوء العظيم عليكم»**. انظر كيف كان يونان مستعداً أن يلقى بكل الإثم على نفسه، وأن يتطلع إلى كل التعب بأنه واقع عليهم. إنه من أجلى فقط، أنا الخاطئ، قد هبت عليكم هذه العاصفة، ولذلك اطرحونى فى البحر :

١ ـ لأننى استحق هذا. لقد هجرت إلهى بخبث، وإن كان قد غضب عليكم فذلك من أجلى. يقيناً إننى لا أستحق أن أتنفس الهواء الذى باغتته هذه العاصفة، أو أن أعيش فى هذه السفينة التى عذبت بهذا الشكل من أجلى. الموت غرقاً يليق بى جداً. وميتة واحدة قصاص خفيف لجرمى المضاعف.

٢ ـ لأنه لا توجد طريقة أخرى ليسكن البحر. إن كنت أنا السبب فى إثارة هذه العاصفة فان طرح الأمتعة إلى البحر لن يسكنها، بل يجب أن تطرحونى أنا فى البحر. عندما يستيقظ الضمير، وتكون العاصفة هائجة، فلن يسكنها إلا نبذ الخطية التى سببت التعب. إن التخلى عن أموالنا لن يسكن الضمير، بل يجب طرح يونان فى البحر.

يرمز يونان هنا الى المسيح **«بذل نفسه فدية عن كثيرين»** (مت ٢٠ : ٢٨)، ومع هذا الفارق الكبير، وهو أن العاصفة التى بذل يونان نفسه ليسكنها كان هو الذى أثارها، أما العاصفة التى بذل المسيح نفسه ليسكنها فنحن الذين أثرناها. وكما أسلم يونان نفسه ليطرح فى بحر هائج ليسكن، هكذا فعل ربنا يسوع عندما مات لكى نحيا نحن.

(ثالثاً) وبذل الملاحون المساكين كل ما فى وسعهم لينقذوا يونان من طرحه فى البحر، لكن كان ذلك كله بلا جدوى ع ١٣

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

**«ولكن الرجال جدفوا ليرجعوا السفينة إلى البر»** حتى إذا كان لابد من التخلص من يونان فليوصلوه سالماً إلى الشاطئ، لكنهم **«لم يستطيعوا»** كل مساعيهم فشلت **«لأن البحر كان يزداد اضطراباً عليهم»**، ولهذا لم يقدروا مطلقاً أن يصلوا إلى الشاطئ. عندما كانوا يظنون أحياناً أنهم كادوا ينجحون، كانوا بسرعة يزدادون توغلا فى البحر. كانت حمولة السفينة لازالت ثقيلة عليها، وعندما طرحوا الأمتعة لم يخف الحمل طالما كان يونان فى السفينة.

وعلاوة على هذا فقد كانوا يجدفون ضد الريح وضد التيار، ضد ريح الانتقام الإلهى، وضد تيار المشورة الإلهية ومن العبث أن نقاوم الله، من العبث أن نفكر فى إنقاذ أنفسنا بطريقة أخرى غير طرح خطايانا.

من هذا يتضح أن أولئك الملاحين كانوا لا يميلون أبداً إلى تنفيذ ما حكم يونان على نفسه، رغم علمم بأن هذه العاصفة هبت عليهم من أجله. لقد أحجموا عن اتخاذ هذه الخطوة، أولا لأنهم خافوا لئلا يجلبوا على أنفسهم دينونة سفك الدم، وثانياً لأنهم شفقوا على يونان المسكين، كرجل صالح، ورجل فى محنة، ورجل فى غاية الاخلاص.

(ملاحظة) كلما ازداد الخطاة اتضاعاً وإذلالاً لأنفسهم، وإدانة لأنفسهم، إزداد الأمل فى أن يجدوا عطفاً من الله ومن الناس.

بقدر ما أسرع يونان فى قوله **«اطرحونى فى البحر»** إزدادوا هم إبطاء فى التنفيذ.

(رابعا) وعندما وجدوا أنه لا مفر من طرح يونان فى البحر صلوا أولا إلى الله لكى لا تقع عليهم مسئولية دمه، ولكى لا يتهموا بسفك دمه ع ١٤

عندما وجدوا أنه من العبث أن يجدفوا، حتى وإن جدفوا بشدة، تركوا المجاديف، وبدأوا يصلون.

**«فصرخوا إلى الرب»**، إلى الله الحى الحقيقى، لا إلى آلهتهم الكثيرة التى سبق أن صرخوا إليها ع ٥. لقد صلوا لإله إسرائيل، إذ اقتنعوا من أعمال العناية الإلهية مع يونان، ومن التعاليم التى أعطاهم إياها عنه، بأنه هو وحده الله.

إذ اعتزموا طرح يونان فى البحر قدموا دفاعهم أولا أمام محكمة السماء بأنهم لن يفعلوا هذا بارادتهم، أو بخبث، أو بالرغبة فى الانتقام منه لأنه تسبب فى مجئ هذه العاصفة عليهم. كلا، فان إلهه يغفر له، وهم أيضاً يغفرون.

لكنهم اضطروا لعمل هذا دفاعاً عن أنفسهم، إذ لم تكن هنالك طريقة أخرى لانقاذ حياتهم. لقد اتخذوا هذا الإجراء كخدام للعدالة، لأن الله حكم بموت عنيف كهذا، وهو نفسه حكم به أيضاً. ومن أجل هذا قدموا باتضاع طلبة إلى الله الذى يتقيه يونان **«وقالوا آه يارب لا نهلك من اجل نفس هذا الرجل»**.

١ ـ انظر هنا مقدار خوفهم من ارتكاب جريمة سفك الدم، سيما دم شخص يتقى الله، ويعبده، وله شركة معه، الأمر الذى اعتقدوه فى يونان، رغم أنه أخطأ فى مناسبة واحدة.

إن الضمير الطبيعى لا يمكن إلا أن يفزع من خطية سفك الدم، ويجعل الناس يصلون بحرارة، كما فعل داود إذ قال **«نجنى من الدماء يا الله»** (مز ٥١ : ١٤). هكذا فعل هؤلاء **«لا تجعل علينا دماً بريئاً»**.

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

لقد صلوا وقتئذ بحرارة لكى ينجوا من خطر الخطية، كما سبق أن صلوا لكى ينجوا من خطر البحر، سيما وقد اتضح لهم أن يونان شخص غير عادى ، بل رجلٍ صالح، رجل الله، عابد للخالق العظيم، خالق السماء والأرض، الأمر الذى دفع هؤلاء الملاحين الأفظاظ لكى يؤدوا له احتراماً عظيماً، وفزعوا من قتله.

الدم البرئ ثمين، وأثمن منه جداً دم القديسين، ودم الأنبياء ولذلك فالذين يشتركون فى هذه الجريمة بأى شكل من الأشكال يدفعون الثمن غالياً. لقد رأى الملاحون أن الانتقام الإلهى يتعقب يونان، ومع ذلك فزعوا أن يكونوا هم قاتليه. رغم أن إلهه كانت له خصومة معه فقد قالوا **«لا تكن أيدينا عليه»** (تك ٣٧ : ٢٧)

كان الإسرائيليون وقتئذ يقتلون الأنبياء لقيامهم بواجباتهم، يشهد على هذا اضطهاد إيزابل الأخير. وكانوا يسرفون فى قتلهم ومما زاد هذا شناعة الرقة التى أظهرها هؤلاء الوثنيون نحو شخص أدركوا أنه نبى، رغم أنه كان وقتئذ هارباً من إتمام واجباته.

٢ ـ وانظر هنا خوفهم من أن يجلبوا على أنفسهم غضب الله. لقد كانوا يخافون من أن يغضب عليهم إذا ما قتلوا يونان، لأنه سبق أن قال **«لا تمسوا مسحائى ولا تسيئوا إلى أنبيائى»** (مز ١٠٥ : ١٥)، وإن فعلتم هذا عرضتم أنفسكم للخطر.

ولهذا قالوا **«يارب لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل»**. لا تسمح بأن تكون هذه خطية مميتة لنا. نحن نرى بأننا إن انقذنا حياته هلكنا نحن، فلا تسمح بأن نهلك إذا ما قتلناه.

وكانت حجتهم معقوله **«لأنك يارب فعلت كما شئت»**. لقد ألزمتنا بأن نفعل هكذا. فالعاصفة التي تعقبته، والقرعة التي فضحته، كانتا بتوجيهك. ونحن خاضعون لهذا التوجيه. نحن لسنا إلا آلات لتنفيذ أعمال العناية الإلهية. ونحن ننفذ هذا رغم إرادتنا. لكننا ينبغي أن نقول **«لتكن مشيئة الرب»**.

(ملاحظة) عندما يكون واضحاً أمامنا بأن العناية الإلهية تدفعنا لاتمام امور لا تتفق مع ميولنا، وبعيدة جداً عن أهدافنا، فانه مما يريحنا أن نقول **«لأنك أنت يارب فعلت كما شئت»**. وإن كان الله يشاء فينبغي أن نرضى بهذا حتى وإن كنا نحن لا نشاء

(خامسا) وإذ أظهروا نفورهم من الجريمة التي فزعوا منها شرعوا في تنفيذها ع ١٥ **«ثم اخذوا يونان وطرحوه في البحر»** لقد طرحوه من سفينتهم، ونبذوه من جماعتهم، وطرحوه في البحر، في البحر العاصف الذى كان يصرخ قائلا **«هات هات، سلموا الخائن، وإلا فلا تتوقعوا أى سلام»**. لا يمكننا أن نتصور مقدار الاضطراب والذهول، والدهشة التي استولت على يونان المسكين إذ رأى أنه على وشك الوقوف أمام الله كديان، الذى كان قد هرب من أمام وجهه كسيد.

(ملاحظة) إن الذين يهربون من وجه الله لا يدركون أى نوع من الدمار يجلبونه على أنفسهم **«ويل لهم لأنهم هربوا عنى»** (هو ٧ : ١٣). عندما تكون الخطية هي يونان الذى أثار العاصفة فيجب طرحها في البحر. يجب أن ننبذها، ونقتلها. يجب أن نغرق ما **«يغرقنا في العطب والهلاك»** إن لم نسبق ونغرقه ١ تى ٦ : ٩ . وإن كنا، بالتوبة الكاملة وإصلاح الحياة، نطرح

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

خطايانا فى البحر، على أن لا نعود إليها مطلقاً، فإن الله، برحمته الغافرة، يخضع آثامنا ويطرحها هى أيضاً **«فى أعماق البحر»** (مى ٧ : ١٩)

(سادسا) وحالما طرح يونان فى البحر سكنت العاصفة. لقد استلم البحر ما أرسلت من أجله العاصفة، ولذلك اكتفى بما حصل عليه **«فوقف البحر عن هيجانه»** هذا دليل علس سلطان الله المطلق أنه يستطيع فى الحال أن يحول العاصفة الثائرة إلى هدوء عظيم، ودليل على عدالته فى إدارة شئون ملكوته، أنه عندما تتحقق الغاية من أية بلية فان البلية تزول فى الحال. إنه لا يخاصم إلى الأبد (إش ٥٧ : ١٦)، ولا يخاصم بعد أن نخضع له، ونترك السبب الذى أدى إلى الخصومة. إن رجعنا عن خطايانا رجع هو حالاً عن غضبه.

(سابعاً) وبهذا أزداد الملاحون اعتقاداً بأن إله يونان هو الإله الحقيقى وحده ع ١٦ **«فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً»** أخذتهم رهبة عظيمة إله إسرائيل، واعتزموا أن يعبدوه وحده من ذلك الوقت فصاعداً، **«إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجى هكذا»** ويهلك هكذا (دا ٣ : ٢٩). عندما رأوا قدرة الله فى إثارة العاصفة، وفى تسكينها، وعندما رأوا عدله مع عبده يونان، وعندما رأوا صلاحه معهم إذ أنقذهم وهم على حافة الهلاك، عندئذ **«خافوا من الرب»** (إر ٥ : ٢٢).

والدليل على خوفهم منه أنهم **«ذبحوا ذبيحة للرب»** عندما وصلوا إلى الشاطئ فى أرض إسرائيل، **«ونذروا نذورا»** وقتئذ بأن يذبحوا ذبيحة للرب، اعترافاً بجميله معهم فى إنقاذهم، ولكى يكفروا عن أرواحهم.

أو لعلهم كان لديهم على ظهر السفينة ما يذبحونه لله فى الحال. أو قد يكون المقصود الذبائح الروحية، ذبائح الصلاة والتسبيح التى يسر بها الله **«أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف»** (مز ٦٩ : ٣١، ١٠٧ : ٢٢ الخ).

ينبغى أن ننذر النذور، ليس فقط عندما نطلب الرحمة، بل، وما هو أكثر كرماً وسخاء، عندما ننال رحمة، كالذين يفكرون فى ماذا يردونه للرب **«من أجل كل حسناته»** (مز١١٦ :١٢)

(ثامناً) وبعد كل هذا أنقذت حياة يونان بمعجزة، وسوف نسمع عنه ثانية بعد هذا. فى وسط الغضب يذكر الله الرحمة (حب ٣ : ٢). سوف يخوف يونان دون أن يناله أذى، سوف يلقى قصاص خطيته، بحيث يعود إلى عمله ويؤدى واجبه. ،مع أنه هرب من وجه الرب، وبدا كأنه وقع فى يديه المنتقمتين، إلا أن الله كان قد أعد له عملا ليؤديه، ولذلك **«أعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان»** ع ١٧. انظر أيضاً (مت ١٢ : ٤٠)، وهذا الحوت من أكبر أنواع الحيتان، له حلق أكثر اتساعاً من غيره، وكثيراً ما يوجد فى جوفه جثث جنود مسلحين.

ذكر فى تاريخ الخلقة أن الله **«خلق التنانين (١) العظام»** (تك ١ : ٢١)، وخلق لوياثان فى البحر ليلعب فيه (مز ١٠٤ : ٢٦). لكن الله أعد عملا للوياثان هذا، وسبق أن أعده ليبتلع يونان، وينقذه.

(ملاحظة) لله سلطان على كل الخليقة، وهو يستطيع أن سمك يجعل أى واحدة منها تخدم مقاصد رحمته لشعبه حتى سمك البحر الذى لا يراه

---

(١) "الحيتان" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الإنسان، حتى الحيتان العظيمة، الخارجة بالكلية من سلطان الإنسان.

لقد أعد هذا الحوت، ووضع تحت المياة بالقرب من السفينة، لكى يحفظ يونان من الغرق فى الأعماق، وينقذ حياته، مع أنه كان يستحق الموت.

لنقف وننظر خلاص الرب هذا (خر ١٤ : ١٣)، وندهش أمام قدرته، إذ أنقذ هكذا إنساناً يغرق. ولننظر شفقته، إذ أنقذ شخصاً هرب منه، وأساء إليه.

كان من مراحم الرب أن يونان لم يفن. لقد بلعه الحوت، لا لكى يفترسه، بل لكى يحميه. **«من الآكل خرج أكل»** (قض ١٤ : ١٤)، لأن يونان **«كان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال»**. لم يهلك بسبب حرارة جوف الحوت، ولا أختنق لعدم وجود الهواء به.

كان هذا مستحيلا بحسب قوانين الطبيعة، لكنه لم يكن مستحيلا على إله الطبيعة، الذى كل شئ ممكن لديه. لقد قصد بانقاذ يونان هذا :

١ ـ أن يكون أثراً للرحمة الإلهية، لتشجيع الذين أخطأوا وابتعدوا عن الله، لتشجعيهم على العودة والتوبة.

٢ ـ أن يكون كارزاً ناجحاً لنينوى. فإذا ما وصلت نينوى أنباء هذه المعجزة التى تمت لإنقاذه أدت إلى نجاح كرازته.

٣ ـ إشارة ورمزاً للمسيح الذى **«دفن وقام حسب الكتب»** (١ كو ١٥ : ٤) حسب الكتب، **«لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا كان ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»** (مت ١٢ : ٤٠).

كان دفن يونان رمزاً لدفن المسيح. فقد أعد الله قبر يونان وأعد أيضاً قبر المسيح عندما رتب منذ القديم أن يكون قبره مع غنى (إش ٥٣ : ٩). هل كان قبر يونان غريباً، ومن نوع جديد؟ هكذا كان قبر المسيح جديداً لم يدفن فيه أحد من قبل.

هل ظل يونان فى قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال؟ هكذا فعل المسيح. وقد كان مرتباً أن يقوم كل منهما لتقديم تعليم التوبة للعالم الوثنى. **«هلموا انظروا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً فيه»** (مت ٢٨ : ٦)

# * الإصحاح الثانى *

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

تركنا يونان فى آخر الاصحاح السابق فى جوف الحوت، وكان يحق للمرء أن يعتقد بأن لا يسمع عنه ثانية. فإنه إن لم يكن قد ابتلعته مياه البحر يكون قد التهمه لوياثان هذا، الذى "من فيه تخرج مصابيح. شرار نار تتطاير منه. ولهيب يخرج من فيه" (أى ٤١ : ١٩، ٢١). لكن الله يجيز شعبه فى النار والماء (مز ٦٦ : ١٢). وهوذا يونان النبى لا يزال حياً بقدرته، وسوف نسمع عنه ثانية

فى هذا الاصحاح نرى الله يستمع إليه، لأننا نجده يصلى. وفى الأصحاح التالى نرى نينوى تستمع إليه، لأننا نجده يكرز.

وفى صلاته نجد :

(١) المحنة الشديدة والخطر العظيم الذى اجتازه ع ٢، ٣، ٥، ٦.

(٢) اليأس الذى كاد يستولى عليه ع ٤

(٣) كيف شجع نفسه فى هذه الحالة الأليمة ع ٤, ٧

(٤) كيف تأكد من عطف الله عليه ع ٦، ٧

(٥) التحذير والتعاليم التى قدمها للآخرين ع ٨

(٦) تسبيحه لله وتمجيده له فى كل هذا ع ٩

(٧) وفى العدد الأخير نرى خروج يونان من جوف الحوت ووصوله إلى البر سالما وسليماً

---

١ فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت ٢ وقال دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى ٣ لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحار فأحاط بى نهر. جازت فوقى

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

جميع تياراتك ولججك ٤ فقلت قد طردت من أمام عينيك. ولكننى أعود أنظر إلى هيكل قدسك ٥ قد اكتنفتنى مياه إلى النفس. أحاط بى غمر التفّ عشب البحر برأسى ٦ نزلت إلى أسافل الجبال. مغاليق الأرض علىّ إلى الأبد ثم اصعدت من الوهدة حياتى أيها الرب إلهى٧ حين أعيت فىّ نفسى ذكرت الرب فجاءت اليك صلاتى إلى هيكل قدسك ٨ الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم ٩ أما أنا فبصوت الحمد اذبح لك وأوفى بما نذرته للرب الخلاص

افترق الله ويونان فى غضب. وكان يونان هو البادئ بالنزاع فقد هرب من بلاده لكى يهرب من عمله. لكننا نراهما قد اجتمعا معاً مرة ثانية، وكان الله هو البادئ بالمصالحة.

فى آخر الأصحاح السابق وجدنا الله يعود إلى يونان فى طريق الرحمة، وينقذه من "**الهبوط إلى الحفرة إذ قد وجد فدية**» (أى ٣٣ : ٢٤).

وفى هذا الأصحاح نجد يونان يعود إلى الله فى طريق تأدية واجبه. لقد طلب منه فى الأصحاح السابق أن يصلى إلى إلهه، لكننا لا نجد أنه فعل هكذا. وعلى أى حال فقد اضطر أخيراً أن يصلى.

وهنا نلاحظ :

(أولا) متى صلى ع ١ «**فصلى (١) يونان**»، «**حينئذ صلى**» عندما كان فى ضيقة، وتحت الشعور بالخطية وعلامات غضب الله بسبب الخطية.

(ملاحظة) عندما نكون فى محنة ينبغى أن نصلى. عندئذ تهيأ الفرصة

(١) "حينئذ صلى" حسب الترجمة الانكليزية

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

للصلاة، عندئذ تكون الدالة أمام عرش النعمة، عندئذ يتوفر الميل للصلاة، لما يكون القلب قد تذلل، وأصبح ليناً ورزيناً. عندئذ يتوقع الله منا أن نصلى، **«فى ضيقهم يبكرون إلىّ (١)»** (هو ٥ : ١٥)، يطلبوننى باكراً، يطلبوننى بالحاح. وإن كنا نجلب متاعبنا على أنفسنا بخطايانا، فاننا إن صلينا باتضاع وإخلاص، يرحب بنا أمام عرش النعمة، كما حدث مع يونان.

**«حينئذ صلى»** عندما كان هنالك رجاء فى النجاة إذ بقى حياً بمعجزة، الأمر الذى كان دليلا واضحاً على أنه حفظ لرحمة أخرى. عندما ندرك رضاء الله عنا، رغم معاصينا، فان هذا يعطينا جرأة للدنو منه، ويفتح الفم للصلاة، بعد أن كان مغلقاً تحت الشعور بالاثم، والخوف من الغضب.

(ثانيا) أين صلى : **«من جوف الحوت»**. كل مكان يصلح للصلاة. **«أريد أن يصلى الرجال فى كل مكان»** (١ تى ٢ : ٨). حيثما أوجدنا الله نستطيع أن نجد طريقاً مفتوحاً نحو السماء، إن أردنا. يقول المثل اللاتينى **«السماوات يمكن الوصول إليها من أى مكان على الأرض»**. وكل من يسكن المسيح فى قلبه بالإيمان يحمل معه ـ أينما ذهب ـ مذبحه **«الذى يقدس القربان»** (مت ٢٣ : ١٩)، ويكون هو نفسه **«هيكلا حياً»**.

كان يونان وقتئذ فى سجن، كان جوف الحوت هو سجنه، وكان السجن ضيقاً ومظلماً. ومع ذلك كانت له حرية الوصول إلى الله، وكان يمشى فى حرية، فى شركة معه. يستطيع الناس أن يغلقوا علينا فيمنعوننا من الشركة بعضنا مع بعض، لكنهم لن يقدروا أن يمنعونا من الشركة مع الله.

---

(١) "يطلبوننى باكراً" حسب الترجمة الانكليزية

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

كان يونان وقتئذ فى أعماق البحر، ومع ذلك فقد صرخ إلى الله **«من الأعماق»** (مز١٣٠ : ١)، كما صلى بولس وسيلا فى السجن **«وأرجلهما فى المقطرة»** (أع ١٦ : ٢٤، ٢٥)

(ثالثاً) لمن صلى : **«إلى الرب إلهه»**. لقد كان هارباً من الله أما الآن فقد رأى حماقته فيما فعله، وعاد إليه. بالصلاة اقترب من الله الذى سبق أن ابتعد عنه، **«وأرهن(١) قلبه ليدنو إليه»** (إر ٣٠ : ٢١).

بالصلاة تطلع إلى الله ليس فقط على أساس أنه **«الرب»**، بل أيضاً على أساس أنه **«إلهه»**، الذى دخل فى العهد معه. فشكراً لله لأن أى تعد على العهد لا ينبذنا من العهد. هذا يشجع حتى البنين المرتدين ليرجعوا. **«ها قد أتينا إليك لأنك أنت الرب إلهنا»** (إر ٣ : ٢٢).

(رابعاً) ماذا كانت صلاته. لقد تذكر عباراتها فيما بعد، ثم دونها. لقد تأمل فى تفكير قلبه نحو الله عندما كان فى ضيقته والخطر يحدق به، والصراع الذى كان فى صدره بين الإيمان والعواطف، بين الرجاء والخوف.

١ ـ لقد تأمل فى لجاجة صلاته وفى استعداد الله لاستجابة صلاته ع ٢. فقال **«دعوت (٢) من ضيقى الرب»**.

(ملاحظة) كثيرون ممن لا يصلون مطلقاً، أو يصلون صلاة فاترة، فى أيام رخائهم وراحتهم يضطرون إلى أن يصلوا، بل أن يصرخوا، **«فى ضيقهم»**. ومن أجل هذا يرسل الضيق. وإن لم تتحقق هذه الغاية أصبح الضيق عديم

---

(١) "أشغل" حسب الترجمة الانكليزية

(٢) "صرخت" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الجدوى. إن الذين **«لا يستغيثون (١) إذا قيدهم الله يذخرون غضباً»** (أى ٣٦ : ١٣).

**«صرخت من جوف الهاوية»** أو جوف القبر. يحق للحوت أن يسمى قبراً، وكما كان ليونان سجنا حكم عليه به من أجل تمرده وعدم طاعته، وفيه وضع تحت غضب الله، هكذا يحق بأن يسمى **«جوف الهاوية»**.

هناك طرح هذا الرجل الصالح، ومن هناك صرخ إلى الله، ولم يكن صراخه عبثاً، لأنه قال **«فسمعت صوتى»** صوت ضيقى صوت تضرعاتى هنالك هاوية فى العالم الآخر لا يكون فيها صراخ إلى الله مع أى أمل فى أن يسمع. لكن مهما كانت الهاوية التى توجد فيها فى جوف هذا العالم، فاننا منها نصرخ إلى الله. عندما اضطجع المسيح فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، كيونان، دون أن يصلى كما صلى يونان، فان نفس اضطجاعه هناك كان صراخاً إلى الله من أجل الخطاة المساكين، فسمع الله هذا الصراخ.

٢ ـ وتأمل فى الحالة الأسيفة التى كان فيها اذ كان فى جوف الهاوية والتى أحس بها جداً لما كان هناك وأبدى عنها ملاحظات معينه

(ملاحظة) إن أردنا أن ننتفع من ضيقاتنا ومتاعبنا فيجب أن نتأمل فيها، وندون ملاحظاتنا عنها، وعن يد الله فيها.

هنا لاحظ يونان :

(١) كيف طرح فى الأعماق **«لأنك طرحتنى فى العمق»** كان الملاحون هم الذين طرحوه هناك، أما هو فقد تطلع إلى أبعد منهم، ورأى يد

---

(١) "يصرخون" حسب الترجمة الانكليزية

الله تطرحه هناك. مهما كانت الأعماق التى تطرح فيها فان الله هو الذى يطرحنا فيها، وهو الذى **«بعد ما يقتل له سلطان أن يلقى فى جهنم»** أو **«فى الهاوية»** (لو ١٢ : ٥).

وطرح **«فى قلب البحار»** ومن هنا يقتبس المسيح ذلك التعبير اليهودى **«عندما طبقه على اضطجاعه فى قلب الأرض»** (مت ١٢ : ٤٠) لأن من يضطجع فى القبر، مهما كان قليل العمق، فكأنه يلقى من أرض الأحياء ويوضح فى **«قلب الأرض»**.

(٢) كيف كان محاطاً بما أفزعه. **«فأحاط بى نهر»** (١). لقد أحاطت به من كل جهه أنهار وينابيع مياه البحر. كانت المياه مرتفعة فوقه بصفة مستمرة. إن قديسى الله الأحباء، وخدامه الأعزاء، يحاطون بعض الأحيان بطوفان من المحن والشدائد العنيفة جداً، التى تكتسح كل من تجده أمامها، والتى تجرى فوقهم دواماً كمياه النهر فى تتابعها، فتأتى المحنة عقب الأخرى مباشرة، كرسل أيوب الذين حملوا إليه الأنباء الأليمة. هى تحيط بهم من كل جانب كما شكت الكنيسة **«سيج حولى فلا أستطيع الخروج»** (مراثى إرميا ٣ : ٧)، ولا أستطيع أن أرى أى طريق أهرب إليه للنجاة.

**«جازت فوقى تياراتك ولججك»**. لاحظ أنه دعاها تيارات الله ولججه، ليس فقط لأنه هو الذى صنعها. **«له البحر وهو صنعه»** (مز ٩٥ : ٥)، وليس فقط لأنه يتحكم فيه : **«فان الرياح والبحر جميعاً تطيعه»** (مت ٨ : ٢٧)، بل لأنه وقتئذ كلفها بمهمة على يونان، ووضع لها حدوداً، إذ أمرها

---

(١) "فيضانات" أو "طوفان" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

بأن تزعجه وتضايقه، لا أن تهلكه.

واضح أن يونان اقتبس هذه الكلمات من (مز ٤٢ : ٧) «**كل تياراتك ولجحك طمت عليّ** (١)». وما قاله داود من باب التشبيه والاستعارة طبقه يونان على نفسه إذ تم فيه حرفيا ونحن لكي نتعزى وسط متاعبنا يحسن بنا أن نتأمل فى الحوادث المماثلة التى حدثت من قبل، لكى ندرك أنه «**لم تصبنا تجربة إلا بشرية** (٢)» (١ كو ١٠ : ١٣). مع أن محنة يونان كانت غريبة، لا مثيل لها، فقد استراح إذ ذكر أن الرجل الذى حسب قلب الله قدم لله نفس الشكوى قائلا «**كل تياراتك ولجحك طمت علىّ**»، فوجد هو (يونان) هذه المناسبة لتقديمها. عندما «**يتمم الله المفروض علينا**» فاننا نجد أنه لا يزال هنالك «**كثير مثل هذه عنده**» (أى ٢٣ : ١٤) وأن طريق آلامنا سبق أن سلكه غيرنا، وأن الله يعاملنا بنفس الطريقة التى يعامل الذين يحبون اسمه.

ولذلك، فانه مما يعيننا فى التجائنا إلى الله بالصلاة، عندما نكون فى الضيق، أنه يحسن بنا أن نردد شكاوى وصلوات القديسين الذين كانوا قبلنا، التى رفعوها فى ظروف مماثلة

انظركم هو نافع أن نكون ملمين بالكتاب المقدس. فان يونان، إذ لم يكن ممكنا أن يجد كتاباً مقدساً فى جوف الحوت، لجأ إلى ذاكرته فأمدته بالعبارة المماثلة لحالته تماما «**كل تياراتك ولجحك طمت علىّ**»

---

(١) "جازت علىّ" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) "إلا ما هو عادى عند البشر" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

وبنفس المعنى قال أيضا **«قد أكتفتنى مياه إلى النفس»** ع ٥ لقد هددت حياته التي كانت في أشد الخطر بسببها. أو إنها أثرت في نفسه بشدة. لقد رأى فيها علامات غضب الله، ورأى **«أهوال الله مصطفة ضده»** (أى ٦ : ٤). هذه وصلت إلى نفسه، وسببت لها اضطراباً.

وهذه أيضاً مقتبسة من شكوى داود **«المياه قد دخلت إلى نفسي»** (مز ٦٩ : ١). عند ما تكون هنالك **«من خارج خصومات (١)»** فلا عجب إن كانت هنالك **«من داخل مخاوف»** (٢ كو٧ : ٥)

لقد وجد يونان، وهو في جوف الحوت، أن الغمر يحيط به **«أحاط بى غمر»** حتى إذا ما أمكنه أن يخرج من سجنه وجد أنه لا محالة هالك في المياة التي تحيط به من كل جانب.

وأحسّ بشئ آخر إذ قال **«ألتف عشب البحر برأسي»** ذلك العشب الذى يمتصه السمك مع المياه. وهكذا وجد أنه لم يترك له طريق ليساعد نفسه.، وليس هنالك رجاء في أن يساعده أى شخص آخر. وهكذا يرتبك أولاد الله، ويقعون في حيرة، وفي بعض الأحيان لكي يتعلموا أن **«لا يكونوا متكلين على أنفسهم بل على الله الذى يقيم الأموات»** (٢ كو١ : ٨، ٩)

(٣) كيف اشتدت عليه وثقه **«نزلت إلى أسافل الجبال»** ع ٦، إلى الصخور في البحر، التي يبدو أن الجبال التي على شاطئ البحر. تأسست فوقها. لقد رقد بينها، بل تحتها.

---

(١) "حروب" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

**«مغاليق الأرض عليّ (١)»**. كانت محكمة الغلق حتى كان يبدو أنه سيبقى داخلها **«إلى الأبد»**. كانت الأرض مغلقة عليه بأقفال ومزاليج (ترابيس) حتى بدا له أنه لم يكن هنالك قط أى أمل فى أن يعود إليها. هكذا بدت حالة يونان ميئسة جداً. إن الذين يخاصمهم الله تحاربهم الطبيعة كلها.

٣ ـ وتأمل فى الاستنتاج المحزن جداً الذى أوشك أن يستنتجه عن نفسه، وفى الإغاثة التى نالها إزاء هذا الاستنتاج ع ٤ ، ٧.

(١) لقد بدأ يغرق فى بالوعة اليأس، ويعتقد بأنه قد هلك إلى الأبد. إذ **«اكتنفته مياة إلى النفس»** فلا عجب أن نسمعه يقول **«أعيت فىّ نفسى(٢)»**.. لقد خارت كل قواه حتى أصبح يرى أنه لم تبق له أية راحة أو أمل. لقد ذابت نفسه، ونظر إلى نفسه كشخص ميت.

**«فقلت قد طردت من أمام عينيك»**. وإذ أدرك هذا غشى على نفسه. لقد توهم بأن الله تركه نهائياً، ولن يعود إليه برحمته، ولن يريه أية علامة للخير ثانية، لم تكن أمامه سابقة واحدة خرج فيها شخص حياً من جوف حوت. إن فكرّ فى أيوب فوق المزبلة، أو فى يوسف فى السجن، أو فى داود فى الكهف، فإن هؤلاء لم يصلوا إلى حالته. ولم تكن هنالك أمامه أية طريقة منظورة للنجاة إلا بمعجزة. وأى أمل أمامه فى معجزة رحيمة تصنع معه وقد حل به العدل الإلهى ؟ كان ضميره يقول له إنه بخبث **«هرب من**

---

(١) "واغلقت على مزاليج الأرض" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) "غشى على نفسى" أى "أغمى علىّ" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

**وجه الرب**»، ولذلك كان يحق له أن يطرحه من أمام وجهه، وكعلامة على هذا «**ينزع منه روحه القدوس**» على أن لا يرجع إليه ثانية. أى أمل فى النجاة من التعب الذى «**صنعه له طريقه وأعماله**» (إر ٤ : ١٨)؟

لاحظ بأن يونان عندما أراد أن يعبر عن اسوأ ما يمكن أن يقال عن حالته قال «**قد طُردت من أمام عينيك**». إن الذين يطردهم الله من أمام عينيه، ولا يعود يعترف بهم أو يرحمهم، هم وحدهم التعساء والبؤساء. إن تعاسة الذين يحكم عليهم بجهنم هى أنهم يطرحون من أمام عينى الله. وليست سعادة السماء إلا التمتع برؤية الله.

فى بعض الأحيان تسوء حالة شعب الله فى هذا العالم حتى يظنوا أنهم قد طردوا من حضرة الله، بحيث لا يرونه ثانية. فقد قال يعقوب «**قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلهى**» (إش ٤٠ : ٢٧)، «**وقالت صهيون قد تركنى الرب. وسيدى نسينى**» (إش ٤٩ : ١٤). لكن هذه هى فقط أوهام عدم الإيمان، لأنه «**لم يرفض الله شعبه الذى اختاره**» (رو١١ :٢).

(٢) على أنه فاق إلى نفسه، وعاد من بالوعة اليأس، ببعض أفكار مريحة عن النجاة. لقد صحح الإيمان أوهام الخوف والشك وتغلب عليها. هنا كان عراك عنيف بين العواطف والإيمان، لكن الإيمان كانت له الكلمة الأخيرة، وخرج غالباً. فى أوقات التجارب تكون النتيجة خيراً أخيراً، على شرط أن لا يخور الإيمان. ولهذا ضمن المسيح لبطرس دوام إيمانه فى قوة. «**طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك**» (لو ٢٢ : ٣٢) وداود كاد يغشى عليه لو لم يكن قد آمن (مز ٢٧ : ١٣).

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

لقد قال إيمان يونان **«ولكننى أعود انظر إلى هيكل قدسك»** وهكذا مع أنه كان مرتكبا فقد كان غير يائس **«متحيرين لكن غير يائسين»** (٢ كو ٤ : ٨). فى أعماق البحر كان له هذا الرجاء **«كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة»** (عب ٦ : ١٩). والذى كان يعضده بالرجاء هو أنه سوف **«يعود ينظر إلى هيكل الله المقدس»** إلى **«هيكل قدسك»**

(١) إنه سوف يعيش. سيتطلع ثانية نحو السماء، سوف يرى نور الشمس ثانية رغم أنه كان وقتئذ فى الظلمة الكاملة. وهكذا **«على خلاف الرجاء آمن على الرجاء»** (رو ٤ : ١٨)

(٢) إنه سوف يحيا ويسبح الله. والرجل الصالح لا يود أن يحيا إلا لهذا الغرض (مز ١١٩ :١٧٥). سوف يتمتع بالشركة مع الله فى فرائضة المقدسة، سوف **«ينظر إلى جمال الرب ويتفرس فى هيكله»** (مز ٢٧ : ٤).

عندما أراد حزقيا أن يتاكد من شفائه سأل قائلا **«ما هى العلامة أنى أصعد إلى بيت الرب»** (إش ٣٨ : ٢٢). كانت هذه هى الغاية الوحيدة التى تمنى الصحة من أجلها. هكذا كان رجاء يونان أن يعود ينظر إلى الهيكل. لقد كان قبلا ينظر إلى هذا الطريق مراراً كثيرة بفرح، مغتبطاً عندما كان يدعى **«للصعود إلى بيت الرب»**. وكان كلما تذكر بأنه، إذ يجد الفرصة للذهاب إلى الهيكل لا يكون غريباً، يجد فى هذا تعزية.

لكنه عندما كان فى جوف الحوت كان لا يذكر الطريق المؤدى إليه. على أنه انبعث فيه الرجاء بأن يعود فينظر إليه، بل يتفرس فيه.

لاحظ كيف تحدث يونان بكل اتضاع، كشخص يحس بالذنب وعدم الاستحقاق. لم يجرؤ على التحدث عن السكن فى بيت الله، كداود عالماً

بأنه **«ليس مستحقاً بعد أن يدعى ابناً»** (لو ١٥ : ١٩). لكنه كان يرجو فقط أن ينظر إليه. لقد دعاه **«هيكل قدسك (١)»**، لاعتقاده بأن قداسته هى جماله، وهى ما أحبه وتاق إليه.

كان الهيكل رمزاً للسماء. وقد اعتقد بأنه وهو أسير لن يفك أسره، بل يموت فى الحفرة. ومع ذلك فانه سوف ينظر إلى الهيكل السماوى، ويذهب إليه بسلام. إن كان يموت فى جوف الحوت، فى اعماق البحر، فقد كان يرجو أن تنقل الملائكة روحه من هناك إلى حضن إبراهيم.

أو قد تفسر هذه الكلمات بأنها هى نذر يونان، إذ كان فى ضيقته، ولذلك تحدث فى ع ٩ عن إبقائه لنذره **«أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك واوفى بما نذرته»**. كان نذره أنه إن أنقذه الله فانه يسبحه **«فى ابواب ابنة صهيون»** (مز ٩ : ١٣و١٤).

كانت خطيته التى تعقبه الله من أجلها هى **«هروبه من وجه الرب»** الأمر الذى اقتنع وتلذذ بحماقته فيه، ووعد ليس فقط بأن لا ينظر إلى ترشيش قط، بل يعود وينظر إلى الهيكل، **«ويذهب من قوة إلى قوة، إلى أن يظهر أمام الله هناك»** (مز ٨٤ : ٧) وهكذا نرى كيف كان الإيمان والرجاء هما سنده فى يأسه.

---

(١) "هيكلك المقدس" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

وإلى هذه أضاف صلاة إلى الله ع ٧ **«حين أعيت فى نفسى ذكرت (١) الرب»**. لجأت إلى هذا العلاج الشافى. لقد ذكر كيف أن الله قريب جداً للذين كان يظن بأن المتاعب أبعدتهم جداً، وكيف أنه رحيم للذين يبدو أنهم طوحوا بأنفسهم بعيداً جداً عنه بخطيتهم. نذكر ما سبق أن فعله معه، وماسبق أن فعله مع الآخرين، وما يقدر أن يفعله، وما وعد أن يفعله. وهذا حفظه من أن يعيا أو تخور قواه.

وإذ ذكر الله صلى إليه **«فجاءت إليك صلاتى»**، لقد أرسلتها، وتوقعت أن أتلقى الإجابة

(ملاحظة) ينبغى أن تذكرنا ضيقاتنا بالله، وبهذا تدفعنا للصلاة إليه. عندما تعيا أنفسنا ينبغى أن نذكر الله. وعندما نذكر الله ينبغى أن نرسل إليه صلواتنا، أو تنهداتنا على الأقل. عندما نذكر اسمه ينبغى أن ندعو اسمه

٤ . وتأمل فى عطف الله عليه عندما طلب إليه فى ضيقه واتكل عليه

(١) لقد تحنن وقبل صلاته ورحب بها ع ٧ **«فجاءت إليك صلاتى»** إذ أرسلتها إليك، بل جاءت **«إلى هيكل قدسك»**. لقد سمعت فى أعلى السماوات رغم أنها قدمت من أسفل الأعماق.

(٢) وصنع له خلاصاً بكيفية عجيبة. عندما كان فى أشد حالات البؤس أكد له هذا الخلاص ع ٦ **"ثم اصعدت من الوهدة (٢) حياتى ايها الرب إلهى»** يظن البعض أن هذه قيلت عندما قذفه الحوت إلى البر، وفى هذه

---

(١) تذكرت حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) "الفساد" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الأنكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الحالة تكون هذه هى لغة الشكر، وانه قارن بين نجاته وبين ضيقته الشديدة السابقة، لكى تزداد عظمة قدرة الله فى نجاته. «**مغاليق الأرض أغلقت علىّ إلى الأبد**» **لكنك أصعدت من الوهدة حياتى**» من مزاليج الهاوية.

أو بالأحرى يمكن القول إنها قيلت عندما كان لا يزال فى جوف الحوت وفى هذه الحالة تكون هذه هى لغة الايمان: لقد حفظتنى حياً هنا فى الوهدة ولذلك فانك تقدر وتريد أن تصعد من الوهدة حياتى. وقد تحدث عن هذا بلهجة اليقين، كأنه قد أصعدها فعلاً. «**أصعدت حياتى**».

ومع أنه لم يتلق وعداً صريحاً بالإنقاذ فقد حصل على عربون له، وعلى هذا العربون اعتمد. فقد كان لا يزال حياً، ولذلك آمن بأن حياته سوف تصعد من الفساد. وقد عبر لله عن هذا التأكيد: لقد أتممته أيها الرب إلهى. أنت الرب، ولذلك تقدر أن تتممه لى. وأنت إلهى ولذلك فإنك سوف تتممه.

(ملاحظة) إن كان الرب هو إلهنا فانه يكون لنا «**القيامة والحياة**»، يفدى نفوسنا من الفساد، من سلطان القبر.

٥- وأعطى تحذيراً للآخرين، ونصحهم بأن يكونوا قريبين من الله ع ٨«**الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم**».

(١) أى إن الذين يعبدون آلهة أخرى، كما كان يفعل الملاحون الوثنيون، ويدعونهم، وينتظرون منهم الاغاثة والعزاء، «**يتركون نعمتهم (١)**»، يبقون فى نورهم الشخص، يعطون ظهورهم لسعادتهم، ويبتعدون عن

---

(١) "رحمتهم" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الأنكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

طريق كل خير

(ملاحظة ) الأثاون **«أباطيل كاذبة»** والذين يقدمون لها الولاء الواجب لله فقط يتصرفون ضد مصالحهم وضد واجباتهم

(٢) أو إن الذين يتبعون اختراعاتهم، كما فعل يونان نفسه عندما **«هرب من وجه الرب»** ليذهب إلى ترشيش، **«يتركون نعمتهم»** (رحمتهم )، تلك الرحمة التى يجدونها فى الله، والتى يحق لهم أن يقولوا إنها ملك لهم **«رحمتهم»**، طالما كانوا متصلين بالله ومتممين واجباتهم.

إن الذين يظنون بأن يذهبوا إلى أى مكان لكى يكونوا بعيدين عن عينى الله كما فعل يونان، والذين يظنون بأنهم يحسنون مركزهم بهجر خدمة الله كما فعل يونان، والذين يستكبرون رحمته على أى خطاة مساكين، ويدعون بأنهم أكثر حكمة من الله فى الحكم على من يجوز أن يرسل إليهم أنبياء ومن لا يحق أن يرسل إليهم، كما فعل يونان– هؤلاء **«يراعون أباطيل كاذبة»**، محمولون بأوهام غبية لا أساس لها، **«ويتركون نعمتهم»** مثله، ولا يرجى من تصرفاتهم أى خير

(ملاحظة )إن الذين يتركون واجباتهم يتركون نعمتهم، والذين يهربون من خدمة مكانهم وخدمة يومهم، يهربون من تعزيات الخدمة

٦– وربط نفسه برباط قوى بأنه إذا صنع الله له خلاصاً، فان إله رحمته يكون إله تسبيحه ع ٩ . لقد تعهد لله:

(١) بأن يكرمه فى عبادته بذبيحة الحمد: **«أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك»**. ولقد قال الله، لتشجيع من يفعلون هكذا، **«ذابح الحمد يمجدنى»** (مز ٥٠ : ٢٣). لقد أراد أن يأتى **«بذبيحة الحمد»** حسب موسى، ويقدمها

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

**«بصوت الحمد»** حسب ناموس الطبيعة. إن محبة القلب لله وحمده هما حياة هذا الواجب، وبدونهما لا فائدة من ذبيحة الحمد أو صوت الحمد.

وكان الله قد رتب وقتئذ أن الاعتراف بالجميل يعبر عنه بتقديم ذبيحة، فيها يقدم مقدمها البهيمة المذبوحة لله، لا عوضاً عن نفسه، بل علامة على نفسه. وهى الآن يعبر عنها **«صوت الحمد»**، **«عجول شفاهنا»** (هو ١٤ : ٢)، **«ثمر شفاهنا»** (عب ١٣ : ١٥)، تنطق بتسبيح إلهنا، وتغنى به.

وعد يونان هنا بأن **«يذكر تسابيح الرب»** لمجده، ولتشجيع الآخرين (إش ٦٣ :٧)

(٢) بأن يكرمه بسيرته، بايفاء نذوره بانتظام، تلك التى نذرها فى جوف الحوت: **«وأوفى بما نذرته»**. يظن البعض أنه نذر بتقديم بعض أعمال الرحمة، أو نذر نذراً كنذر يعقوب، **«كل ما تعطينى فأنى أعشره لك»** (تك ٢٨ :٢٢). والأرجح أنه نذر بأن يذهب إلى أى مكان يرسله إليه، ولو إلى نينوى، إذا ما نجاه. إذا ما تألمنا بسبب تركنا لواجبنا تكون الفرصة مهيأة لننذر بأن نلتصق به، ونتزايد فيه. أو ربما يكون قد نذر بتقديم ذبيحة الحمد، وهذه هى التى يوفيها، كما فعل داود (مز ١١٦ : ١٧ – ١٩)

٧– وختم صلاته بالاعتراف بالله مخلصاً لشعبه: **«للرب الخلاص»**. انظر أيضا (مز ٣ : ٨). هو **«إله الخلاص»** (مز ٦٨ :١٩و٢٠). هو وحده القادر أن يصنع الخلاص، هو القادر أن يخلص من كل خطر مهما اشتد، ومن كل ضيق مهما عظم. هو وعد بأن يخلص شعبه الذين يتكلون عليه (مز ٣٧ : ٤٠) كل أعمال الخلاص التى تمت لكنيسته بصفة عامة، وللقديسين كأفراد، تمت بمعرفته، فهو **«مخلص المؤمنين»** (١ تى٤ :١٠).

لازال الخلاص يتم به، كما كان دواماً فى القديم. منه وحده يرجى الخلاص. وعليه وحده ينبغى أن نعتمد لكى نخلص.

إن اختبار يونان يشجع الآخرين فى كل الأجيال، لكى يعتمدوا على الله على أساس أنه هو إله خلاصهم. كل الذين يقرأون هذه الرواية لابد أن يقولوا بثقة، وباعجاب، **«للرب الخلاص»**

## ١٠- وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر

هنا نرى إخراج يونان من سجنه، ونجاته من الموت الذى كان مهدداً به هناك. ونرى عودته إلى أرض الأحياء التى كان يبدو أنه قطع عنها، مع أنه لم يكن قد مات لأنه كان لا يزال حياً فى جوف الحوت. ونرى أيضاً قيامته، لا من الموت، بل من القبر، لأنه لم يدفن أحد قط حياً كما دفن يونان فى بطن الحوت. ويمكن أن يعتبر إنقاذه:

١- دليلا على سلطان الله على كل المخلوقات: **«وأمر (١) الرب الحوت»**. أصدر إليه الأوامر لاعادته كما سبق أن أصدر إليه الأوامر لاستلامه عندما يصدر الله الأمر للمخلوقات الأخرى يتم الأمر فعلا، فهى خادمة مطيعة. أما للإنسان **«فالله يتكلم مرة واثنين لكنه (الإنسان) لا يلاحظ»** (أى ٣٣ : ١٤)، لا يبالى، يصم أذنيه عما يقول الله

(ملاحظة) كل المخلوقات تحت أمر الله، يستخدمها كما يشاء، ويتمم بها مقاصده

---

(١) "وكلم" حسب الترجمة الانكليزية

٢ ـ دليلا على رحمة الله نحو أى تائب مسكين يصلى إليه فى ضيقة نفسه. لقد أخطأ يونان، وتصرف بحماقة، بل بحماقة شديدة. ولم يصلح من شأنه ارتداده. ومن تصرفاته التالية يبدو أن حماقته لم تفارقه تماماً، حتى بعصا التأديب هذه. ومع ذلك فانه عندما صلى وتذلل أمام الله، تمت هذه المعجزة فى الطبيعة لإنقاذه، إشارة إلى مقدار استعداد الله للترحيب بالخطاة التائبين، ولو بمعجزة من معجزاته الرحيمة. عندما كان تحت رحمة الله أظهر له الرحمة، **«ولم يخاصم إلى الأبد»** (إش ٥٧ : ١٦)

٣ ـ رمزاً لقيامة المسيح. لقد مات المسيح ودفن لكى يهدئ العاصفة التى أثارتها خطايانا، واضطجع فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، كيونان، ليوفى ديننا، لكنه خرج فى اليوم الثالث، كيونان، لكى ينادى، بواسطة رسله، بالتوبة ومغفرة الخطايا، حتى إلى الأمم. وهكذا تم كتاب آخر : **«يحيينا بعد يومين. فى اليوم الثالث يقيمنا»** (هو ٦ : ٢). لقد ارتعدت الأرض، كأنها تئن تحت ثقلها، كحوت يونان

# * الإصحاح الثالث *

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

فى هذا الإصحاح نجد :

(١) تجديد إرسالية يونان، وصدور الأمر إليه ثانية ليكرز فى نينوى ع ١ ، ٢

(٢) إبلاغ يونان الرسالة إلى نينوى بأمانة، وكانت تتضمن التهديد بانقلابها سريعاً ع ٣ ، ٤

(٣) توبة أهل نينوى فى الحال، وتذللهم، وإصلاح حياتهم ع ٥ - ٩

(٤) رجوع الله برحمته عن الحكم السابق إصداره عليهم، وإيقاف الحكم بالهلاك السابق التهديد به ع١٠

---

**١ ثم صار قول الرب إلى يونان ثانية قائلا ٢ قم أذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادلها المناداة التى أنا مكلمك بها**

**٣ فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب. أما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام ٤ فابتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ونادى وقال بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى**

هنا نرى دليلا جديداً على إتمام المصالحة بين الله ويونان، وكانت هذه مصالحة كاملة، رغم أن الخصومة كانت قد اشتدت جداً.

(أولاً) تجديد إرسالية يونان وإطاعته لها فى الحال.

١ ـ من هذا يتضح أن الله صالح يونان صلحاً كاملا، واستخدمه ثانية فى خدمته. وكان إعطاء الرسالة إليه من جديد دليلا على الصفح عن عصيانه السابق. عند البشر يعتبر تكليف المجرم، الذى ثبتت إدانته، بأية مهمة، صفحاً تاماً عن جريمته. هكذا كان الحال مع يونان. «**ثم صار قول الرب الـ يونان ثانية**» ١ع

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(١) لأنه كان يجب اختبار يونان ليتبين إن كان قد تاب حقاً عن عصيانه السابق أم لا، وإن كان قد نال الخير الذى قصد له به من قصاصه الغريب، ومن نجاته الغريبة. لقد سبق أن هجر عمله وواجبه، فألقى القبض عليه من أجل هذا، **«وكان له فى نفسه حكم الموت»** (٢ كـو ١ : ٩). وعند خضوعه أطلق الله سراحه، ووهبه الحياة والحرية لكنه أطلق سراحه بسبب حسن تصرفه. وكان يجب أن يوضع تحت الاختبار ليتبين إن كان سيتبع إرادة الله أم إرادته هو.

بعد أن طرح فى البحر، وأخرج منه، جاءه الله وسأله : أتريد أن تذهب إلى نينوى الآن يا يونان، لأن الله لابد أن يغلب متى حاكم، لابد أن يتمم مقاصده، لابد أن يخضع الابن العاصى المتمرد.

(ملاحظة) عندما يسلمنا الله للضيق، ثم ينقذنا منه، يجب إن نسمع صوته يقول لنا : ارجع الآن إلى الواجبات التى أهملتها، والتى يدعوك إليها الآن هذا الضيق.

لقد قال الله فى الواقع وقتئذ، كم قال المسيح للمقعد لما شفاه : اذهب الآن ولا تعد تخطئ **«لئلا يكون ذلك أشر»** (يو ٥ : ١٤)، أشر من البقاء فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. عندما يسمح الله بالضيق للناس ويخلصهم منه فانه يتطلع إليهم ليرى إن كانوا سيصلحون أخطاءهم، سيما تلك التى أدبهم من أجلها. ولذلك فلنحرص على أن لا نقبل نعمة الله باطلا، سواء فى التأديب أو فى الانقاذ، فكلاهما يقصد بهما أن يكونا من وسائط النعمة.

(٢) وائتمن الله يونان علامة على رضائه عنه. كان يمكن أن يقول الله عن يونان بعدل، كما نقول نحن عمن يخدعنا ويعاملنا بغدر، إننا إن كنا نصفح عنه ولا نقدمه للقضاء فاننا لن نثق فيه مرة أخرى. هكذا كان يمكن أن يفارق يونان بعدل روح النبوة الذى تمرد عليه وقاومه، على أن لا يعود إليه ثانية. كان المرء يتوقع أنه إن كانت نفسه قد نجيت فكان ممكناً أن يترك عاجزاً عن أن يقوم بخدمة نبى.

لكن هوذا قد «**صار قول الرب**» إليه ثانية، ليتبين بأن الله عندما يصفح فانه ينسى، والذين يصفح عنهم يعطيهم قلباً جديداً وروحاً جديداً. والله يقبل الابن الضال ويرده إلى رتبته الأولى.

(ملاحظة) عندما يستخدمنا الله فى عمله فان هذا دليل على أنه فى سلام معنا. بهذا يتبين أن خطايانا قد غفرت، وأننا قد نلنا عطف الله. إن كانت كلمته الصالحة قد أتت إلينا، وإن كنا اختبرنا عمله الصالح فينا، فيحق لنا أن نعجب بغنى نعمته المجانية، وأن نذكر بأننا مدينون للرب يسوع المسيح، الذى قبل عطايا من أجل الناس، حتى «**المتمردين**» ، ليسكن الرب الإله بينهم، ويستخدمهم فى نشر كلمته (مز ٦٨ : ١٨).

٢ ـ بهذا يتضح أن يونان تصالح مع الله : أنه «**لم يعاند الرؤيا السماوية**» ، ولم يهرب من وجه الرب، كما فعل من قبل. إنه لم يحاول تجنب سماع الأمر الإلهى، ولم يفكر فى عدم إطاعته. لم يتعرض ـ كما فعل من قبل ـ بسبب طول الرحلة، أو بسبب ما تفعله الرسالة من إثارة البغضاء والحقد، أو بسبب الخطر الذى قد يتعرض له عند إبلاغ هذه الرسالة، ولا بسبب ما قد يتعرض له تعبير كنبى كاذب إذا ما ندم الله عن

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الشر الذى هددت به نينوى، الأمر الذى اعترض عليه فيما بعد (ص ٤ : ٢).

لكن، بدون تذمر أو مناقشة، **«قام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب»** ع٣. وهنا نرى :

(١) طبيعة التوبة. هى تغيير تفكيرنا وطرقنا، ورجوع إلى عملنا وواجباتنا التى تركناها، هى عمل الصالح الذى أهملناه.

(٢) فائدة الضيقات. إنها تعيد الذين تركوا مكانهم إليه. كان يحق ليونان أن يردد ما قاله داود **«قبل أن أذلل(١) أناضللت. أما الآن فحفظت قولك»** (مز ١١٩ : ٦٧)، ولذلك فان كان **«التأديب الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن»**، وأنه أليم، إلا أنه **«خير لى (بل خير جداً) أنى تذللت(٢)»** (مز ١١٩ : ٧١) انظر أيضاً (عب ١٢ : ١١).

(٣) انظر قوة النعمة الإلهية التى تعمل مع النكبات، فبدونها تصير النكبات نفسها سبباً فى إبعاد الناس عن الله، بدلا من أن تقربهم إليه. لكن الله بنعمته **«يرد العصاة إلى فكر (٣) الأبرار»** (لو ١ : ١٧)، ويجعل الذين **«عنقهم عضل من حديد»** (إش ٤٨ : ٤) طيعين وراغبين بأن يحنو ارقابهم لنيره : **«شعبك منتدب (٤) فى يوم قوتك»** (مز ١١٠ : ٣).

(٤) انظر ماذا يجب أن يفعله كل الذين تأتيهم كلمة الرب. ينبغى أن يعيشوا بموجبها، وبالإيمان والفرح يطيعوا كل الأوامر التى يصدرها إليهم

---

(١) "تحل بى النكبات" حسب الترجمة الانكليزية

(٢) عنيت" حسب ترجمة اليسوعيين، "نكبت" حسب الترجمة الإنكليزية

(١) "حكمة" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) "متطوع" حسب ترجمة اليسوعيين، "راغب" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الله. لقد **«قام يونان»**، ولم يجلس فى التراخى والكسل، وذهب مباشرة إلى نينوى، رغم بعد المسافة، ورغم أنه على الأرجح لم يكن قد ذهب إليها من قبل. بالرغم من كل هذا ذهب إليها **«بحسب قول الرب»**. ينبغى على خدام الله أن يذهبوا حيثما يرسلهم، ويلبوا النداء كلما دعاهم، ويفعلوا ما يأمرهم به. وكلما بدا لنا أن هذا هو قول الرب ينبغى أن نتممه بدقة.

(ثانياً) ولنتأمل الآن فى المهمة التى كلف بها، وماذا فعله فى إتمامها.

١ ـ لقد أرسل كسفير مسلح باسم إله السماء، ليعلن الحرب على نينوى ع٢ **«قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادلها (١)»** إن ما نؤاخذ عليه يكرز لنا به، لكى نسمعه ونتحذر وإن كنا لا نصغى لما يُكرز لنا به ونمزجه بالإيمان، فإننا نؤاخذ عليه.

أرسل يونان إلى نينوى، وكانت وقتئذ المدينة الرئيسية فى العالم الوثنى، كعلامة على مقاصد الله الرحيمة على ممر الأيام ليضئ بنور الإعلانات الإلهية فى تلك الأرجاء المظلمة. كان الله يعلم أنه لو كانت قد حصلت سدوم وعمورة، وصور صيدا، على وسائط النعمة لتابت، ومع ذلك فقد حرمها من هذه الوسائط (مت ١١ : ٢١ ، ٢٣). وعرف أنه إن أعطيت لنينوى وقتئذ وسائط النعمة لتابت، فأعطاها تلك الوسائط، وأرسل يونان، لا لينادى لهم صراحة بالتوبة (لأننا لا نجد أنها كانت متضمنة فى مهمته)، بل لينادى لهم المناداه التى تؤدى إلى التوبة، لأن هذه كانت هى النتيجة السارة لمهمته.

---

(١) "وناد عليها" حسب ترجمة اليسوعيين، "واكرز لها" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

إن كان الله فى توزيع نعمه، وفى إعطاء وسائط النعمة لبعض الأمكنة دون الأخرى، وفى إعطاء روح النعمة لبعض الأشخاص دون غيرهم، يتصرف بمقتضى سلطانه المطلق، فمن ذا الذى يجرؤ على أن يقول له **«ماذا تفعل»**؟ **«أو ما يحل له أن يفعل ما يريد بما له»** (مت ٢٠ : ١٥)؟ إنه ليس مديناً لأى إنسان. لقد قال له الله **«اذهب وناد لها «المناداة التى أنا مكلمك بها»**.

(١) أى المناداة التى سبق أن أمرتك بها عندما قلت لك فى بداية الأمر بأن تذهب إلى هناك: **«ناد عليها»** (ص ١ : ٢). هددها بحلول الغضب الإلهى عليها. أخبر أهل نينوى بأن شرهم قد صعد إلى الله، وأن انتقام الله نازل عليهم. كانت هذه هى الرسالة التى أحجم يونان عن إبلاغها، ولذلك هرب وذهب إلى ترشيش. لكنه عندما أرسله الله إليها مرة أخرى، لم يغيرها إرضاء له، ولم يجعلها أكثر قبولا لديه. كلا، بل كان يجب أن ينادى بنفس المناداة التى سبق أن أمر بها ورفضها.

(ملاحظة) إن كلمة الله غير قابلة للتغيير، ولا يمكن أن تنحنى لتلائم أمزجة الكارزين بها أو سامعيها. لا يمكن أن تتمشى مع أمزجتهم أو أوهامهم، بل يجب عليهم أن يتمشوا مع حقائقها ونواميسها. انظر (إر ١٥ : ١٩) : **«هم يرجعون إليك وأنت لا ترجع إليهم»**.

(٢) أو المناداة التى آمرك بها لما تذهب إلى هناك. كان هذا تشجعياً له فى مهمته أن يذهب الله معه، وأن يحل عليه روح النبوة، وأن تكون منتظرة إياه لما يصل إلى نينوى، لتعطيه كل التعليمات الأخرى التى تلزمه. كان هذا يشير ضمناً إلى أنه سوف يكلمه فيما بعد، الأمر الذى يدعمه فى مهمته

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الخطرة، وذلك كما أعطى الله لإبرهيم إشارة مماثلة عندما أرسله ليقدم اسحق محرقة، إذ قال له أن يقدمه **«على أحد الجبال الذى يقول له عنه»** فيما بعد (تك ٢٢ : ٢). **«من قبل الرب تثبت خطوات الإنسان (١)»** (مز ٣٧ : ٢٣). هو يقود شعبه خطوة فخطوة، وهو يتوقع منهم أن يتبعوه.

كان يجب أن يذهب يونان بإيمان لا يتزعزع. مع أنه كان يعرف إلى أين يذهب لكنه كان لا يعرف الرسالة التى سوف يبلغها. كان يجب أن يبلغها سواء كانت سارة أو أليمة. وهكذا يريد الله أن يحفظنا فى اعتماد مستمر عليه، وتحت ارشاد كلمته وأعمال عنايته. نحن لا نعلم الآن ماذا يفعله هو، وماذا يريدنا أن نفعله نحن، لكننا سنفهم فيما بعد (يو ١٣ : ٧) عندما يرسل قائد الأسطول فى مهمة خارج بلاده فانه فى بعض الأحيان لا يطلع على الوثيقة التى دونت بها مهمته إلا بعد أن يسير مسافة طويلة فى عرض البحر. هكذا كان يجب أن يذهب يونان إلى نينوى، وعندما يصلها يقال له ماذا ينبغى أن يقول.

(ثالثاً) فأبلغ رسالته بأمانة وشجاعة. عندما وصل إلى نينوى وجد أن أبروشيته فسيحة الأرجاء **«فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام»**، **«عظيمة لله»** أى عظيمة جداً جداً. عند ما يراد تعظيم أى شئ فإنه ينسب لله العظيم.

كانت عظمة نينوى تقوم بالأكثر على اتساعها. كانت أعظم اتساعاً من بابل. ويقول ديودورس الصقيلى انه لم يبن انسان مدينة مثلها قط. كان

---

(١) "ترتب خطوات الإنسان الصالح" حسب الترجمة الانكليزية

طولها حوالى عشرين ميلا. وكان ارتفاع أسوارها مائة قدم، وكانت الأسوار سميكه جداً بحيث تسمح لمرور ثلاث عربات متجاورة عليها. وعلى الأسوار بنى ألف وخمسمائة برج، وارتفاع كل برج مائتا قدم.

قيل عنها هنا إنها **«مسيرة ثلاثة أيام»** لأن محيطها كان ستين ميلا، فكان يكفى للسائر على قدميه أن يسير عشرين ميلا فى اليوم. أو إذا سار بتؤدة، كما فعل يونان على الأرجح عندما تمشى فيها كارزاً، فكان لا يكفيه أقل من ثلاثة أيام لكى يجتاز شوارع المدينة الرئيسية، ليذيع رسالته فيتنبه إليه الجميع.

وإذ وصل إليها لم يضيع وقتاً. لم يذهب إليها لكى يتلفت حوله، بل بدأ خدمته فوراً. وعندما بدأ يدخل المدينة لم يلجأ إلى فندق لكى يستريح من عناء السفر، بل بدأ يذيع رسالته فى الحال، وفق التعليمات الصادرة إليه : **«فابتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد وقال بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى»**. لا شك فى أنه يحصل على تفويض خاص وإرشاد خاص ليقول هذا لا يعرف على وجه التحقيق إن كان قد توسع فى شرح رسالته، وهو المرجح، وبين لهم أن يتوقعوا الخراب والدمار، كما يجب أن يصدقوا الانذار، أم إنه اكتفى بتكرير تلك الكلمات مراراً وتكراراً. وعلى أى حال فقد كان هذا هو فحوى رسالته

١ ــ كان يجب أن يخبرهم بأن هذه المدينة العظيمة سوف تنقلب. لقد قصد أن يقول لهم، وهم فهموا قصده، إنها سوف تنقلب، لا بالحرب، بل بضربة مباغتة من السماء، إما بزلزلة، أو بكبريت ونار كما حدث لسدوم. إن شرور المدن تهيئها للخراب، ولا يمكن أن تحميها ثرواتها أو عظمتها من

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الخراب عندما يمتلئ مكيال إثمهم، وعندما يأتى مكيال الانتقام. المدن العظيمة تنقلب بسهولة عندما يأتى الله العظيم لمحاسبتها.

٢ ـ وكان يجب عليه أن يخبرهم بأنها سوف تنقلب عن قريب : **«بعد أربعين يوماً»** . لقد أعطيت إليها مهلة لإرجاء تنفيذ القصاص. لقد رأى الله أن يطيل أناته هذه الفترة ليرى إن كانوا بعد هذا الانذار يذللون أنفسهم، ويصلحون طرقهم، وبهذا يمنعون الانقلاب الذى هددوا به. انظر كيف أن الله بطئ الغضب. فمع أن شر نينوى صرخ إلى الله طالباً الانتقام إلا أنها أعطيت إليها مهلة أربعين يوماً، لكى تكون لها فرصة للتوبة والاصطلاح مع الله.

لكنه كان يجب أن لا يتأنى عليهم أكثر من تلك الفترة. **«وإن لم يرجعوا فإنه يحدد سيفه ويهيئه»** (مز ٧ : ١٢) . إن أربعين يوماً فترة طويلة أمام الله العادل لكى يرجئ قصاصه، لكنها فترة قصيرة لشعب متمرد لكى يتوبوا فيها ويصلحوا طرقهم، ولكى يحولوا عنهم الغضب الآتى.

كان تحديد يوم حلول الغضب بهذه الكيفية، بكل التأكيدات الممكنة، يساعد على إقناعهم بأن الرسالة آتية من الله، لأنه لم يكن ممكناً لأى إنسان أن يجرؤ على تحديد وقت بهذه الدقة، بحيث يتنبأ بالخراب فى ذلك الوقت. وكان تحديد ذلك اليوم أيضاً يدفعهم للإستعداد له. وكان يكفى بعدل لإيقاظ الخطاة غير المكترثين، ودفعهم لتوبة خالصة، فيمنعوا الخراب الذى هددوا به، وذلك عندما يرون أنه ليس أمامهم سوى وقت قصير ليتوبوا فيه.

ألا يوقظنا للإستعداد للموت أن نذكر بأن الأمر مقرر ومؤكد، وأن الوقت محدد فى مشورة الله، لكننا نجهله لكى نكون مستعدين له دواماً؟ نحن لن

نعرف بأننا سوف نعيش أربعين يوماً كما كان أهل نينوى يعرفون، رغم أننا نمنى أنفسنا بأننا سوف نعيش سنوات طويلة. يقول المثل اللاتينى : **«ينبغى أن ننزعج إن تأكدنا بأننا سوف لا نعيش شهراً واحداً، ومع ذلك فاننا مكترثين حتى وإن كنا غير متأكدين بأن نعيش يوماً واحداً»**.

---

٥ فآمن من أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم وبلغ الأمر ملك نينوى فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد ٧ ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا لا تذقِ الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً. لا ترع ولا تشرب ماء ٨ وليتغطَ بمسوح الناس والبهائم ويصرخوا إلى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم ٩ لعل الله يعود ويندم عن حمو غضبه فلا نهلك

١٠ فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه

هنا نرى :

(أولا) تأثيراً عجيباً جداً للنعمة الإلهية فى توبة أهل نينوى وإصلاح حياتهم بسبب الانذار الذى أعطى لهم عن هلاك يقترب.**«الحق أقول لكم»** إننا لا نرى، ولا فى إسرائيل، مثيلا لما حدث. **«رجال نينوى سيقومون فى الدينونة ويدينون»** رجال العهد الجديد، لأن **«رجال نينوى تابوا بمناداة يونان. وهوذا أعظم من يونان ههنا»** (مت ١٢ : ٤١). بل إنهم دانوا إسرائيل فى ذلك الوقت بسبب عنادهم وعدم توبتهم.

لقد أرسل الله لإسرائيل أنبياء كثيرين كانوا معروفين بينهم بأنهم **«مقتدرون فى الأقوال والأعمال»** (أع ٧ : ٢٢)، أما نينوى فقد أرسل لها نبياً واحداً، غريباً عنهم، ولعل منظره كان متواضعاً، وكان **«فى الحضور ذليلا»** (٢ كو ١٠ : ١)، سيما بعد تعب تلك الرحلة الطويلة، ومع ذلك تابوا. أما إسرائيل فلم يتوبوا.

يونان ألقى عظة واحدة، ولسنا نجد أنه قدم لهم أية علامة تؤيد كلامه عندما تتم، ومع ذلك تأثروا بها. أما إسرائيل فقد أصروا على عنادهم، مع أن أنبياءهم اختاروا لهم كلمات تناسب عقولهم، **«وأيدوها بالآيات التابعة»** (مر ١٦ : ٢٠).

يونان هدد فقط بالغضب والهلاك، ونحن لا نجد أنه قدم لهم أية دعوة للتوبة، أو أى إرشاد كيف يتوبون، بل لم يقدم لهم أى تشجيع لكى يرجو أن يجدوا رحمة إذا ما تابوا، ومع ذلك تابوا. أما إسرائيل فقد أصروا على العناد، مع أن الأنبياء الذين أرسلوا إليهم **«جذبوهم بحبال البشر وبربط المحبة»** (هو ١١ : ٤)، وأكدوا لهم بأن الله يعظم العمل معهم إذا ما توبواوأصلحوا حياتهم. والآن لنتأمل فى طرق توبة نينوى، وفى الخطوات التى اتخذت نحوها، وفى مظاهرها.

١ ـ إنهم آمنوا بالله: **«فآمن أهل نينوى بالله»**. لقد صدقوا الكلام الذى قال لهم يونان باسم الله. لقد آمنوا بأنه رغم تعدد الآلهة التى عبدوها فلا يوجد سوى إله واحد حى حقيقى، هو رب وسيد الكل، وأنهم مسئولون أمامه، وأنهم أخطأوا إليه وأسخطوا عدله، وأن ذلك الانذار الذى أرسل إليهم عن الخراب القادم عليهم إنما أرسل من قبله، وبالتالى أن ذلك الانقلاب

نفسه سوى يأتى من قبله فى الوقت المحدد إن لم تمنعه توبة فى أوانها، وأنه اله رحيم، ولذلك فهنالك رجاء للنجاة من الغضب الذى هددوا به إذا ما تركوا تلك الخطايا التى من أجلها صار ذلك التهديد.

(ملاحظة) إن الذين يأتون إلى الله، الذين يرجعون إليه بعد تمردهم عليه، يجب أن يؤمنوا أنه موجود، وأنه يمكن مصالحته، وأنه مستعد أن يكون إلهاً لهم إذا ما سلكوا الطريق القويم.

ثم انظر مقدار عظمة الإيمان الذى يستطيع أن يخلقه الله بوسائط تافهة جداً، لا يرى فيها أية منفعة. إنه يستطيع أن يجعل حتى أهل نينوى **«يطيعون الإيمان»** (أع ٦ : ٧) بكلمات تهديد قليلة جداً.

يظن البعض أن أهل نينوى سمعوا من الملاحين، أو من غيرهم، أو من يونان نفسه، عن طرحه فى البحر ونجاته منه بمعجزة، وأن هذا أيد رسالته، وجعلهم أكثر استعداداً للإيمان بالله المتكلم على لسانه. لكننا لسنا متأكدين من هذا.

وعلى أى حال فإن قيامة المسيح من الأموات، التى كان يرمز إليها خروج يونان من بطن الحوت، أيدت إنجيله، وخدمت كثيراً جداً فى النجاح العظيم الذى صادفه أولـئك الذين **«كرزوا باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئين من أورشليم»** (لو ٢٤ : ٤٧).

٢ ـ وأبلغوا الأمر إلى ملك نينوى، الذى كان يدعى ساردانابالوس كما يرى البعض، ويرى غيرهم أنه كان يدعى بول، ملك أشور. لم يتلق يونان أمراً بالذهاب إليه أولاً. فأصحاب التيجان إذا ما كانوا أثمة صاروا أمام الله فى مستوى واحد مع الأشخاص العاديين. ولذلك لم يرسل يونان إلى الملك، بل

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

إلى شوارع نينوى، لإذاعة رسالته.

وعلى أى حال فقد نقل إلى ملك نينوى تقرير عن رسالته، لا على سبيل الطعن فيه، كمزعج للسلام العام، بقصد إخراسه وتأديبه، الأمر الذى ربما كان يتم لو كان قد صاح فى شوارع أورشليم **«قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها»**. كلا، فقد قدمت الأنباء إليه، لا باعتبار الأمر جريمة، بل على أساس أنها رسالة من السماء. وكان الذين نقلوا هذه الأنباء جماعة ممن يهمهم الخير العام، وكانت قلوبهم ترتعد من الأمر.

(ملاحظة) طوبى لأولئك الملوك الذين يحيط بهم جماعة ينقلون إليهم الأنباء التى تؤدى إلى سلام المملكة، وتحذيرات كلمة الله أو تحذيرات أعمال العناية الإلهية، وعلامات غضب الله الذى يكونون تحت طائلته. وطوبى للشعوب الذين يرأسهم ملوك يهتمون بهذه الأمور.

٣ - وقدم لهم الملك مثلاً طيباً فى الاتضاع ع٦. عندما سمع كلمة الله المرسلة إليه **«قام عن كرسيه (١)»**، كما فعل عجلون ملك موآب، الذى عندما قال له إهود إن لديه رسالة إليه من الله **«قام عن الكرسى»** (قض ٣ : ٢٠).

قام ملك نينوى عن كرسيه، ليس فقط احتراماً لكلمة الله بصفة عامة، بل خوفاً من كلمة غضب بصفة خاصة، وحزناً وخجلاً بسبب الخطية التى بها جلب هو وشعبه غضب الله عليهم.

---

(١) "عرشه" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

قام عن كرسيه **«وخلع رداءه عنه»** رداءه الملكى، الذى هو علامة عظمته الملكية. وذلك اعترافاً منه بأنه إذ لم يستخدم سلطته - كما كان ينبغى - لمنع الظلم والاغتصاب، وحفظ الحق والعدل، فقد تنازل عن عرشه وردائه إلى عدل الله، واعتبر نفسه غير مستحق للكرامة التى أعطيت له، والثقة التى وضعت فيه كملك، وأنه عدل عند الله أن ينزع عنه ملكه.

حتى الملك نفسه لم يستنكف من لبس ثوب التوبة: **«وتغطى بمسح وجلس على الرماد»** علامة على اتضاعه من أجل الخطية، وخوفاً من الانتقام الإلهى. يليق بأعظم العظماء أن يتذللوا أمام الله العظيم.

٤ ـ وتمثل الشعب بالملك، بل يبدو أنهم كانوا هم البادئين فى التذلل والاتضاع، لأنهم بدأوا **«ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم»** ع٥. إن الصغار فيهم، الذين لم يكن لديهم إلا التافه جداً ليخسروه عند انقلاب المدينة، لم يعتبروا بأن الانذار لا يعنيهم والعظماء الذين تعودوا حياة البذخ لم يعتبروا بأنهم أرفع من أن يظهروا بمظهر التذلل. إن لبس المسوح، سيما للذين تعودوا لبس أفخر الثياب، أمر مزعج جداً. ولو لم يشعروا شعوراً عميقا بخطيتهم، والخطر الذى يهددهم بسبب الخطية، الأمر الذى قصد إظهاره هنا، لما لبسوا المسوح.

(ملاحظة) ان الذين لا يريدون أن يهلكوا يجب أن يتذللوا والذين لا يريدون أن يهلكوا نفوسهم يجب عليهم أن يتعبوا نفوسهم. وعندما يهددنا غضب الله يجب أن **«نتواضع تحت يد الله القوية»** (ابط ٥ : ٦). ومع أن التدريب الجسدى فقط لا يفيد شيئاً، لأن فرش الإنسان مسحاً ورماداً تحته يعتبر هزلاً إن كان هو كل شيء، فالله يتطلع إلى القلب (إش ٥٨ : ٥)، إلا

أنه فى أيام التذلل العام، عندما يدعو الله بأعمال عنايته **«إلى البكاء والنوح والتنطق بالمسح»** (إش ٢٢ : ١٢)، يجب أن **«نمجد الله فى أجسادنا»** (١كو ٦ : ٢٠) بالمظاهر الخارجية للحزن الداخلى، وعلى الأقل بنزع زينتنا.

٥ ـ ونودى بصوم فى كل أرجاء المدينة العظيمة، وصاموا فعلاً ع٧ – ٩. **«ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه»**. اتفقت كل السلطات التشريعية بالاجماع على تحديد الصوم، واتفقت كل جماعة الشعب بالاجماع على حفظ الصوم. وعلى هذا الأساس صار الصوم عاماً. وكان يجب أن يكون هكذا لإمكان منع هلاك عام. هنا نرى تفاصيل ذلك الأمر الذى أذيع.

(١) ما الذى تطلبه

[١] ان يحفظ الصوم بتدقيق شديد. فى اليوم المحدد للصوم **«لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً»**. لا تذق أقل شىء، بل **«لا تشرب ماء»**. ينبغى أن لا يحتجوا قائلين إن هذا أمر متلف للصحة، أو إنهم لا يحتملونه. بل ليجربوا ولو مرة واحدة. ما الذى يضيرهم إن تعبوا وقتياً ثم استراحوا فيما بعد ؟ خير لهم أن يصوموا من أن يهملوا التوبة اللازمة لإنقاذ مدينة مشرفة على الهلاك. فليتعب الجسد بلبس المسوح وبالصوم لكى يبينوا ضيقة أنفسهم بالحزن من أجل الخطية والخوف من الغضب الإلهى.

حتى **«البهائم»** ينبغى أن تتعذب كالناس، لأنها **«خضعت للبطل»** كالآت لخطية الناس، حتى إذا ما شكت، أو تألمت بسكوت، بسبب عدم توفر الطعام، أمكن أن تحرك أصحابها، ومسخريها، ليظهروا علامات الحزن والتذلل. تلك البهائم التى فى داخل البيوت يجب أن لا تأكل أو تشرب

كالمعتاد، لأنه كان يجب أن لا يرى أى طعام فى ذلك اليوم يجب أن ينسىٰ كل شئ من هذا القبيل، ولا يفكر فيه.

وكما أن داود عندما كان منحصراً فى تسبيح الله دعا المخلوقات الدنيئة للاشتراك معه فى التسبيح، هكذا عندما كان أهل نينوى ممتلئين حزناً من أجل الخطية، وخوفاً من غضب الله اردوا أن تشترك معهم المخلوقات الدنيئة فى إظهار علامات الندم. والبهائم التى اعتادت أن تتغطى بالحلى الفاخرة التى يفخر بها أصحابها، كان يجب أن **«تتغطى بمسوح»**، لأن العظماء كان يجب أن يتخلوا عن رفاهيتهم

(٢) كان يجب أن يقرنوا صومهم وحزنهم بالصلوات والتضرعات إلى الله، لأن القصد من الصوم هو إعداد الجسد لخدمة الروح فى الصلاة، التى هى الأمر الجوهرى، أما الصوم فانه ممهد ومعين لها. **«ويصرخوا إلى الله بشدة»**. لتفعل هذا حتى البهائم غير الناطقة حسب قدرتها. لترتفع صراخاتها بسبب انعدام الطعام، كأنها صاعدة إلى الله، كما قيل عن نعيب فراخ الغراب (أى ٣٨ : ٤١)، وزمجرة الأشبال (مز ١٠٤ : ٢١).

لكن، بصفة خاصة، ليصرخ إلى الله الرجال، والنساء، والأطفال. ليصرخوا بشدة لطلب غفران الخطايا التى تصرخ ضدهم، ومنع القصاصات التى كانت تصرخ ضدهم على لسان يونان. عندما لم يكن بينهم وبين الانقلاب سوى خطوة واحدة كان الوقت قد حان للصراخ إلى الله، وطلب الرب.

عندما نصلى ينبغى أن نصرخ بشدة، بعزم ثابت، وإيمان وطيد، وعواطف ملتهبة. وعندما نصرخ بشدة فاننا نجاهد مع الله، نتمسك به. ينبغى أن نفعل

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

هذا ليس فقط عندما يبتعد عنا كصديق، بل أيضاً عندما يكون قادماً علينا كعدو. إذن فعند الصلاة ينبغى أن يتحرك كل ما فى داخلنا. ومع ذلك فليس هذا هو كل ما فى الأمر.

(٣) فانهم كان ينبغى أن يقرنوا صومهم وصلاتهم باصلاح حياتهم. **«ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة»**، الطريق الرديئة التى اختارها، الطريق الردئية التى توغل فيها، والتى يسلك فيها، طريق قلبه الشريرة، وطريق سلوكه الشريرة، سيما **«عن الظلم الذى فى أيديهم»**. ليردوا ما اغتصبوه، ويعوضوا عن الظلم الذى ارتكبوه. ينبغى أن لا يضايقوا فيما بعد مرؤوسيهم، أو يغشوا من يتعاملون معهم

ليرجع أصحاب السلطان **«عن الظلم الذى فى أيديهم»**، دون أن يشرعوا شرائع الظلم **«ويل للذين يقضون أقضية البطل(١)»** (إش ١٠ : ١)، ودون أن يصدروا أحكاماً ظالمة.

ليرجع رجال الأعمال **«عن الظلم الذى فى أيديهم»**، دون أن يستخدموا موازين أو مكاييل مغشوشة، أو يستغلوا جهل من يتعاملون معهم أو حاجتهم.

(ملاحظة) لا يكفى أن نصوم من أجل الخطية، بل عن الخطية. ولنجاح صلواتنا ينبغى أن لا نراعى إثماً فى قلوبنا (مز ٦٦ : ١٨). هذا هو الصوم الوحيد الذى يختاره الله ويقبله (إش ٥٨ : ٦، زك ٧ : ٥,٩). عندما ينتهى يوم الصوم تبدأ أشق مهمة، وهى الرجوع عن الخطية، وبدء حياة جديدة، دون الرجوع إلى الخطية كرجوع الكلب إلى قيئه

---

(١) "ويل للذين يشترعون شرائع الظلم" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(٢) ما هى البواعث التى دفعت للمناداة بهذا الصوم ولحفظة ع ٩ **"لعل الله يعود ويندم»**.

لاحظ هنا

[١] ما الذى كانوا يرجونه. أن يغير الله طريقه نحوهم لدى توبتهم ورجوعهم عن خطاياهم، ويلغى حكمه الذى صدر ضدهم، **«ويرجع عن حمو غضبه»** الذى يعترفون بأنهم يستحقونه، لكنهم يرجون، ويلحون فى الرجاء، بأن يعفوا منه، وهكذا لا يهلكون: **«فلا نهلك»**. لم يقدروا أن يعترضوا على عدالة الحكم، ولم يدعوا بأنهم قادرون على إرجائه بالإلتجاء إلى محكمة أعلى، لكنهم وضعوا رجاءهم فى الله نفسه لكى يندم، ولكى تفتخر رحمته (التى يلجأون إليها) على الحكم (يع ٢ : ١٣).

لقد آمنوا أن الله غضب عليهم بعدل، وأن غضبه قاس جداً لأن خطيتهم شنيعة جداً، وأنه إذا بدأ يقتص منهم فلا يمكن أن يوجد هنالك علاج، بل إنهم لابد هالكون كلهم، لأنه **«من يعرف قوة غضبه»** (مز ٩٠ : ١١)؟ لهذا فانهم لم يصلوا لإعفائهم من الانقلاب الذى هددوا به، بل لإعفائهم من غضب الله. وكما إننا حينما نصلى من أجل رضاء الله فاننا نصلى من أجل كل خير، هكذا عندما نصلى من أجل الإعفاء من كل شر.

[٢] ما هى درجة رجائهم فى هذا **«لعل الله يعود»** إلينا. لم يخبرهم يونان بأن الله يمكن أن يعود إليهم، ولم يكن بينهم أى أنبياء آخرين ليخبروهم. ولذلك لم يكونوا واثقين من أن يجدوا رحمة لدى توبتهم، كما هو الحال معنا نحن الذين لنا مواعيد الله وعهوده للاتكال عليها، وبصفة أخص استحقاقات دم المسيح، لكى نرجو الغفران لدى التوبة.

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

ومع ذلك كانت لديهم فكرة عامة عن طبيعة الله، ورحمته للبشر، ومسرته بتوبة الخطاة وتجديد حياتهم. ومن هذه أحيوابعض الرجاء بأنه سوف يشفق عليهم. وإن كانوا لم يتجاسروا على الطلب فانهم لم ييأسوا

(ملاحظة) إن الرجاء فى الرحمة مشجع عظيم على التوبة وتجديد الحياة. ومع أنه قد توجد شعاعة من الرجاء ممتزجة بمخاوف شديدة ناشئة من شعورنا بخطايانا وحقارتنا، واعتدائنا الطويل على صبر الله، إلا أن هذه كلها قد تحثنا على التوبة الحقيقية وتجديد الحياة. فلنطرح أنفسنا بجسارة أمام النعمة المجانية، متشبسين بها، لعل الله ينظر إلينا ويتعطف علينا

(ثانياً) وهنا نرى عملا عجيباً للرحمة الإلهية فى إنقاذ أهل نينوى لدى توبتهم ع ١٠ **«فلما رأى الله أعمالهم»** : إنه لم يسمع فقط كلماتهم الصالحة التى بها اعترفوا بتوبتهم، بل رأى أعمالهم الصالحة، التى بها صنعوا **«ثماراً تليق بالتوبة»** .

لقد رأى **«أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة»**، وهذا ما كان ينتظره ويتطلبه. لو لم ير هذا لكانت أصوامهم ومسوحهم عديمة الجدوى. رأى أن بينهم اقتناعاً عاماً بخطاياهم، وعزماً عاماً بعدم العودة إليها، وأنهم قد بدأوا يعيشون حياة أفضل، وأن المدينة بدأت أحوالها تتحسن، وهذا أبهج قلب الله جداً

(ملاحظة) الله يلاحظ كل دليل من تجديد حياة الخطاة، حتى تلك الأدلة التى لا يلاحظها العالم. هو يرى من هم الذين يرجعون عن طريقهم الرديئة، ومن هم الذين لا يرجعون، ويغدق رحمته على من تتجدد حياتهم. عندما يتوبون عن شر الخطية التى ارتكبوها فانه هو يندم عن شر القصاص

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

الذى حكم به عليهم.

وهكذا شفق الله على نينوى **«وندم على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم»** هنا لا نقرأ عن ذبائح قدمت لله للتكفير عن الخطية. لكن **«ذبائح الله هى روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق (كقلب نينوى) لا يحتقره الله»** (مز ٥١ : ١٧). هو الذى يرضى به، ويكرمه.

# * الإصحاح الرابع *

في ختام الاصحاح السابق تقرأ ـ مع السرور العظيم ـ عن توبة نينوى. أما في هذا الأصحاح فإننا نقرأ ـ مع الألم المرير ـ عن خطيئة يونان. وكما يوجد حزن بسبب حماقة القديسين وضعفاتهم. في كل الكتاب المقدس يندر أن نجد عبداً للرب (فالكتاب دعا يونان هكذا ٢ مل ١٤ : ٢٥) احتدت روحه كما حدث مع يونان هنا، وأغاظ الله نفسه كما فعل يونان.

في الأصحاح الأول رأيناه يهرب من وجه الله، وهنا نراه يهب في وجه الله. والأمر الأشد ألما إننا بعد أن رأيناه يتوب ويرجع إلى الله نرى هنا ـ ولا شك في أنه كان قد تاب ـ أنه لم يذكر شئ عن أنه أفاق إلى نفسه، كما حدث مع سليمان. ومع أننا تقرأ متعجبين عن انحرافه عن الحق فإننا تقرأ متعجبين عن رقة الله من نحوه، الأمر الذي يبين أنه لم ينبذه.

هنا نرى :

(١) استياء يونان وتبرمه من رحمة الله على نينوى ع ١ – ٣

(٢) توبيخ الله الرقيق له من أجل هذا ع ٤

(٣) استياء يونان من يبوسة اليقطينة، وتبريره لنفسه إزاء هذا الاستياء ٥ – ٩

(٤) انتهاز الله هذه الفرصة لاقناعه بأنه يجب أن لا يستاء من انقاذ نينوى ع١٠،١١.

لما يلتقى شر الإنسان مع صلاح الله يتبين أن شر الإنسان خاطئ جداً، وأن صلاح الله صالح جداً

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

١ فغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ، وصلى إلى الرب وقال آه يارب أليس كلامى إذ كنت بعد فى أرضى. لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش لأنى علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطئ الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر ٣ فالآن يارب خذ نفسى منى لأن موتى خير من حياتى ٤ فقال الرب هل اغتظت بالصواب

هنا نرى :

(أولا) كيف خاصم يونان الله بلا مبرر من أجل رحمته لنينوى عند توبتهم. هذا يعطينا فكرة أن نظن بأن يونان أبلغ فقط رسالة الغضب إلى أهل نينوى، ولم يساعدهم قط أو يشجعهم على التوبة، كما قد يتبادر إلى الذهن بأنه قد فعل هذا.

١ ـ لأنهم عندما تابوا ووجدوا رحمة استكثر عليهم يونان الرحمة التى وجدوها ع ١ «**فغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ**»، اشتد حنقه.

(١) كان خطأ فاضحاً أن لا يتمالك نفسه لدرجة أن يغتم جداً ويغتاظ : لم يملك روحه (أم ١٦ : ٣٢)، فتعرض للتجارب والفخاخ كمدينة منهدمة، «**مدينة منهدمة بلا سور الرجل الذى ليس له سلطان على روحه**» (أم ٢٥ : ٢٨)

(٢) وكان خطأ فاضحاً أن لا يوقر الله لدرجة أنه اغتم واغتاظ مما فعله، كما اغتاظ داود عندما «**اقتحم الرب عزة**» (٢ كو ٦ : ٨). ينبغى أن نسر بكل ما يسر به الله. وإن كنا لا نقدر أن نعلله، فيجب أن نرضى به.

+++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(٣) وكان خطأ فاضحاً أن تنعدم محبته للبشر لدرجة أن يغتم ويغتاظ جداً بسبب توبة أهل نينوى وتجديد حياتهم وحصولهم على رضا الله. كانت هذه هى خطية الكتبة والفريسيين الذين تذمروا على مخلصنا لأنه اختلط بالعشارين والخطاة. أيليق بأن تكون عيننا شريرة لأنه هو صالح (مت ٢٠ : ١٥)؟

ولماذا اغتاظ يونان جداً لأن أهل نينوى تابوا ونجوا من الهلاك؟ لا يمكن أن نجد سببا معقولا لأمر سخيف كهذا وغير معقول. لكننا نقول ببساطة إن الشخص الحاد الطبع شخص متكبر. **«فالخصام إنما يصير بالكبرياء»** (أم ١٣ : ١٠)، سواء أكان الخصام مع الله أو مع الناس.

كان سبب غيظه هو أن الكرامة قد مست

[١] لقد غار لكرامة بلاده. كانت توبة أهل نينوى، وتجديد حياتهم، مخجلة لعناد إسرائيل الذين لم يتوبوا، وأبغضوا أن تنصلح حياتهم. وكانت الرحمة التى أظهرت لهؤلاء الوثنيين لدى توبتهم فألا سيئاً للأمة اليهودية كأنهم سوف يرفضون وينبذون من الكنيسة، ويحل محلهم الوثنيون، وهذا ما تم أخيراً.

عندما أعطيت إشارة خفية لبطرس نفسه بأن لا يميز بين اليهود والأمم ذهل لهذا الأمر وقال **«كلا يارب»** (أع ١٠ : ١٤). فلا غرابة إذن إن كان يونان قد تأسف لما رأى أن نينوى قد رحمت لقد أظهر يونان بهذا **«غيرة لله»**، كإله إسرائيل بصفة خاصة، لكنها **«لم تكن حسب المعرفة»** (رو١٠ :٢).

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(ملاحظة) يغتاظ الكثيرون من الله تحت ستار الاهتمام بمجده [٢] وغار لكرامته لئلا يحسب نبياً كاذباً إن لم تنقلب نينوى بعد أربعين يوماً. مع أنه كان يجب أن لا يستاء من هذا قط، لأن التهديد بالانقلاب كان يفهم منه ضمناً أنهم إذا ما تابوا نجوا من هذه الكارثة، دون أن يشكو أى واحد من أنه قد خدعهم، بل كان لابد أن ينال كرامة بينهم إذ كان واسطة فى نجاتهم، لا أن ينال أية إهانة. لكن الناس المنقبضى النفس (ويبدو أن يونان كان هكذا) يميلون إلى إزعاج نفوسهم، إذ يتوهمون بأنه ستلحق بهم شرور لا أساس لها، وغير محتمل وقوعها قط. إن معظم مخاوفنا ناشئة من الأوهام، والمستعبدون لهذه الأوهام يستحقون أن يرثى لهم.

٢ ـ وخاصم الله بسببها. لما اشتد الغيظ فى قلبه **«فرط بشفتيه»** (مز ١٠٦ : ٣٣). وهنا نجد ماذا قاله ع ٢، ٣ **«وصلى إلى الرب»** لكنها كانت صلاة شاذة جداً، ولم تكن كالصلاة التى رفعها وهو فى جوف الحوت. فالشدائد تعلمنا بأن نصلى بتذلل، الأمر الذى نسى يونان أن يفعله وقتئذ. إذ كان فى حالة تذمر لجأ إلى الصلاة كما تعود أن يفعل فى ضيقاته. لكن طبيعته الفاسدة تغلبت، وبدلا من أن يصلى لكى ينتفع برحمة الله شكا من انتفاع الآخرين بهذه الرحمة. لم يكن ممكناً أن يقال شئ أسوأ مما قال.

(١) لقد بدأ يبرر هروبه من وجه الله : **«لذلك بادرت إلى الهرب»** عندما صدر إليه الأمر فى البداية للذهاب إلى نينوى، الأمر الذى سبق أذ دان نفسه لأجله. **«آه يارب أليس هذا كلامى إذ كنت بعد فى أرضى»**؟ ألم أر مقدماً أننى إن ذهبت لأكرز لنينوى فانهم يتوبون، وأنت تصفح عنهم،

وعندئذ يعاب كلامك، ويعتبر كاذباً؟

ياله من شذوذ ذلك الذى أظهره يونان إذ خاف من أن تنجح خدمته. لقد جرب الكثيرون بالانسحاب من الخدمة لأنهم يئسوا من نجاحها، أما يونان فقد امتنع من الكرازة لأنه خشى نجاحها. ومع ذلك ظل مصراً على فكرته الفاسدة، إذ يبدو أن جوف الحوت نفسه لم يشفه منها.

هذا ما قاله **«إذ كن بعد فى أرضه»**، لكنه كان قولا ردياً ومع ذلك أصر عليه، وبعكس الأنبياء الآخرين **«اشتهى يوم البلية»** (إر ١٧ : ١٦)، الـذى سبق أن تنبأ به، فحزن عندما جاء.

حتى تلاميذ المسيح لا يعرفون من أى روح هـم. فالتلميذان لم يعرفا عندما طلبا أن تنزل نار من السماء وتفنى المدينة التى لم تقبلهما (لو ٩ : ٥٥)، أما يونان فقد طلب أن تنزل نار من السماء على المدينة التى لم تقبله. ظن يونان أنه محق فى الشكوى مما حدث مع أنه كان سابقاً يخاف من أن يحدث، وهكذا نجد أنه من العسير اقتلاع أصل المرارة من العقل إن كان قد تأصل فيه.

ولماذا توقع يونان أن ينجى الله نينوى؟ **«لانى علمت أنك إله رؤوف رحيم»**، غفور ويسهل إرضاؤك، لدرجة أنك **«بطئ الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر»**. كل هذا صحيح جداً، ولم يكن ممكناً إلا أن يعرفه يونان من أقوال الله ومن أعماله فى كل الأجيال. لكن الغريب جداً، والذى لا يمكن تعليله، هو أن تلك الحقيقة التى كانت موضوع فرح القديسين وتسبيحهم جعلها يونان موضوع تعيير لله، كأن اتصاف الله بأنه رؤوف

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

ورحيم نقص فى الطبيعة الإلهية، مع أنها فى الواقع مجد لها.

لما قال ذلك العبد لسيده **«عرفت أنك؛ إنسان قاس»** (مت ٢٥ : ٢٤) كان كاذباً فى كلامه. ومع ذلك فحتى لو كان صحيحاً فإنه لم يكن يصح أن يصير موضوعاً للشكوى. أما يونان، فمع أنه قال قولا صادقاً، فانه كان قولا سخيفاً جداً إذ قاله بروح اللوم. إن الذين يقدرون أن يجدوا فى قلوبهم أن يعترضوا على صلاح الله، وعلى رحمته الغافرة، التى نحن كلنا مدينون بالشكر لها لنجاتنا من جهنم، إنما فى الواقع يحبون النزاع والخصام. هذا يجعل ما ينبغى أن يكون **«لهؤلاء رائحة حياة لحياة ولأولئك رائحة موت لموت»** (٢ كو ٢ : ١٦).

(٢) وفى حدة غضبه تمنى لنفسه الموت ع٣، وهذا تعبير غريب عن غضب لا مبرر له **«فالآن يارب خذ نفسى منى»**. إن كان ينبغى أن تحيا نينوى فدعنى أنا أن أموت، فذلك أفضل من أن أرى كلامك وكلامى ينقض، وأفضل من أن أرى مجد إسرائيل ينتقل إلى الأمم، كأن الله لا تتوفر فيه نعمة تكفى اليهود والأمم، أو كأن شعبه قد أبعدوا من الرحمة لأن أهل نينوى قد نالوا رحمة.

عندما تعب إيليا النبى باطلا طلب الموت، وكان هذا ضعفاً منه (١ مل ١٩ : ٤). أما يونان فقد تعب لقصد نبيل، وأنقذ مدينة من الخراب. ومع ذلك طلب الموت، كأنه إذ فعل خيراً جزيلاً خشى أن يعيش لئلا يفعل خيراً أوفر. لقد رأى من تعب نفسه ولم يشبع ولم يسترح (إش ٥٣ : ١١).

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

ياله من منطق معكوس فى كل كلمة قالها. لما خرج حياً من جوف الحوت رأى إن إنقاذ حياته رحمة غالية جداً، فشكر الله الذى **«أصعد من الوهدة (١) حياته»** (ص ٢ : ٦). وكانت حياته بركة جزيلة لنينوى. ومع ذلك فقد صارت حياته فيما بعد ـ لنفس السبب ـ عبئاً ثقيلا على نفسه، وطلب أن يستريح منها، وكانت حجته **«لأن موتى خير من حياتى»**. إن كلمة كهذه يمكن أن تكون لغة النعمة، كما كان الحال مع بولس الرسول، الذى اشتهى أن ينطلق ليكون مع المسيح، فهذا كان أفضل جداً. أما هنا فقد كانت لغة الجهل والحماقة وحدة الطبع والطبيعة الفاسدة.

[١] كان يونان وقتئذ قد نجحت رسالته، ولذلك كان جديراً أن يعيش. لقد ارتضى الله بخدمته بكيفية عجيبة جداً، كما أنها قد نجحت نجاحاً عظيماً. وكان يصح أن يعطيه تجديد حياة نينوى أملا فى أن يكون واسطة فى تجديد كل مملكة أشور. لهذا كانت سخافة منه أن يتمنى الموت إذ كان باب الأمل مفتوحاً بأن يتمم خيراً أوفر.

[٢] وكان يونان وقتئذ فى حدة غضبه، ولذلك كان لا يليق بأن يموت فى ذلك الوقت. كيف تجاسر بأن يفكر فى الموت والوقوف أمام كرسى دينونة الله مع أنه كان فعلاً فى خصومة معه؟ أهذه حالة روحية تليق بأى إنسان يخرج فيها من العالم؟ إن الذين يطلبون الموت فى حدة غضبهم لا يكون لهم أقل حق فى هذا الطلب لأنهم يكونون غير مستعدين للموت. إن

---

(١) "الفساد" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

الواجب يقضى علينا بأن نستعد للموت باتمام مهمة حياتنا، وعندئذ نترك الأمر بين يدى الله ليأخذ حياتنا فى الوقت الذى يرتضيه، وبالطريقة التى يرتضيها.

(ثانيا) انظر كيف وبخ الله يونان بعدل بسبب حدة غضبه ع ٤ «**فقال الرب هل اغتظت بالصواب** (١)»، أو «**هل فعل الخير يغيظك**» كما يقرأها البعض. ما هذا ؟ هل تندم على أعمالك الصالحة؟ كان ممكناً أن ينبذ الله يونان بعدل بسبب حدة غضبه هذا، أو يجيب طلبته بعدل فيضربه ضربة قاتلة إذ أراد الموت. لكنه تنازل وحاجه لإقناعه، وإزالة حدة غضبه، كما حاج أبو الابن الضال ابنه الأكبر عندما تذمر، كيونان هنا، لأنه صفح عن أخيه وقبله.

«**هل أحسنت إذ غضبت**» ؟ انظر كيف تكلم الله العظيم بلطف ورقة مع هذا الأحمق، لكى يعلمنا بأن نصلح الساقطين «**بروح الوداعة**» و «**بجواب لين يصرف الغضب**» (غل ٦ : ١ ، أم ١٥ : ١).

لقد لجأ الله إلى شخص يونان وإلى ضميره «**هل أحسنت إذ غضبت**» ؟ أنت تعرف أنك لم تحسن. خليق بنا أن نوجه هذا السؤال لأنفسنا كثيراً : هل نحسن إذ نقول هذا، أو نفعل هذا ؟ هل أقدر أن أبرره؟ ألا يجب أن أسحب كلامى أو أغير تصرفى بالتوبة لكى لا أهلك إلى الأبد؟ سل نفسك هكذا :

---

(١) "أبحق غضبك" حسب ترجمة اليسوعيين، "هل أحسنت إذا غضبت" أو "هل كان غضبك صواباً" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

١ ـ هل أحسن إذ أغضب؟ عندما تزول حدة الغضب، يحسن أن نحاج أنفسنا هكذا : هل أفعل حسناً اذ أسرع فى الغضب، إذ أغضب كثيراً، إذ أطيل الغضب، أن يحتد غضبى، أن أعطى الآخرين فكرة سيئة بغضبى ؟ هل أفعل حسناً أن أسمح لنفسى بأن تتسلط علىّ حدة الغضب؟

٢ ـ هل أفعل حسناً إذ أستاء من رحمة الله على الخطاة التائبين؟ كانت هذه هى جريمة يونان. هل نفعل حسناً إذ نغتاظ مما يؤول لمجد الله وتقدم ملكوته بين البشر، أن نغتاظ مما تفرح به الملائكة، ومما يجب الشكر الجزيل لله من أجله؟ إننا نفعل ردياً إذ نغتاظ من تلك النعمة التى نحتاج إليها نحن أنفسنا، والتى بدونها نهلك. إن لم يعط المجال للتوبة، والرجاء فى المغفرة لدى التوبة، فماذا يكون مصيرنا؟ ليكن تجديد الخطاة، الذى هو فرح السماء، فرحاً لنا، دون أن يكون لنا قط حزناً.

---

٥ وخرج يونان من المدينة وجلس شرقى المدينة وصنع لنفسه هناك مظلة وجلس تحتها فى الظل حتى يرى ماذا يحدث فى المدينة ٦ فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه لكى يخلصه من غمه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً.

٧ ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر فى الغد فضربت اليقطينة فيبست ٨ وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعد ريحاً شرقية حارة فضربت الشمس على رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت وقال موتى خير من حياتى.

٩ فقال الله ليونان هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطنة. فقال اغتظت بالصواب حتى الموت ١٠ فقال الرب أنت شفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت ١١ أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة

هنا نرى يونان يصر على تذمره. لأن «**ابتداء الخصام (مع الله ومع الناس) إطلاق الماء**» (أم ١٧ : ١٤)، فالثغرة تتسع أكثر فأكثر، وعندما يطلق العنان للغضب فان السئ يزداد سوءاً. لهذا يجب إسكاته وكتم أنفاسه منذ البداية. هنا نرى :

(أولا) ماذا توقعه يونان بحنق عن مصير نينوى. نعتقد بأن أهل نينوى إذ صدقوا الرسالة التى حملها إليهم كانوا مستعدين للترحيب به فى أفضل بيوتهم وأفخر موائدهم. أما يونان فقد كان معكر المزاج، ورفض ضيافتهم له، ورفض أن يعاملهم بالرقة والاحتشام، الأمر الذى كان يصح أن ينفرهم منه ومن رسالته. لكن عندما لا يكون الكنز محفوظاً فى أوان خزفية فقط، بل تسلم الأمانة لأناس تحت الآلام مثلنا، ومع ذلك تنجح المهمة، فيجب الاعتراف بأن فضل القوة لله لا للإنسان.

اعتزل يونان، «**وخرج من المدينة**»، وجلس وحيداً، ولزم الصمت، لأنه رأى أهل نينوى تابوا وتجددت حياتهم ع٥. ولعله أخبر الذين حوله بأنه خرج من المدينة خوفاً من أن يهلك عند هلاكها. لكن الواقع أنه خرج «**حتى يرى ماذا يحدث فى المدينة**»، كما فعل إبراهيم إذ صعد إلى مكان

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

مرتفع ليرى ماذا يحدث لسدوم (تك ١٩ : ٢٧). كانت الأربعون يوماً على وشك الانتهاء، أو كانت قد انتهت فعلا، ولذلك كان يونان يرجو بأنه إن لم تنقلب نينوى، فلابد من أن كارثة تحل بها للاحتفاظ بسمعته وعلى أى حال فقد كان على أحر من الجمر فى انتظار النتيجة

لم يشأ الإقامة فى بيت إذ خشى أن يسقط على رأسه، ولذلك **«صنع لنفسه هناك مظلة»** من أغصان الشجر، **«وجلس تحتها»** رغم تعرضه للريح والعوامل الجوية وهو فيها.

(ملاحظة) جرت العادة أن أصحاب الروح القلقة يخلقون لأنفسهم متاعب، حتى إذا ما فكروا فى الشكوى يكون لديهم ما يشكون منه.

(ثانيا) كيف تحنن الرب عليه ودبر له ما يظله ويريحه من تعبه عندما جلب على نفسه التعب بحماقته، واستمر فى أن يضيف تعباً على تعبه ع ٦ . جلس يونان تحت المظلة متضايقاً من برد الليل وحر النهار. وكان يمكن أن يقول الله : هذا هو الذى اختاره لنفسه، وهذا ما رتبه لنفسه، وهذا هو البيت الذى صنعه بيديه، فليهنأ به. لكنه نظر إليه نظرة العطف، كما تنظر الأم الرقيقة لابنها المتمرد، وأنقذه من مضايقاته التى خلقها لنفسه بعناده.

**«فأعد الرب الاله يقطينه (١)»**، وهى نبات له أوراق عريضة، ومليئ بهذه الأوراق، نبتت فجأة، وظللت مظلته، لتحفظه من الكثير من البرد والحر. هذه اليقطينة **«ارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه لكى**

---

(١) "خروعة" حسب ترجمة اليسوعيين وهامش ترجمة بيروت

**يخلص من غمه»**، حتى إذا ما انتعش جسمه تخلص من متاعبه النفسية، التى كثيراً ما سببتها المضايقات وضاعفتها.

انظر كيف يتحنن الرب نحو شعبه فى ضيقاتهم، حتى ولو تصرفوا بحماقة. ذلك لأنه لا يشدد الرقابة على كل هفواتهم. سبق أن **«أعد الله حوتاً عظيماً»** لإنقاذ يونان من مخاطر البحر، وهنا نرى أنه أعد يقطينة لإنقاذه من مخاطر الهواء. فهو يحمى شعبه من كل أنواع الشرور، وله السلطان على النبات كما على الحيوانات، ويستطيع أن يعدها بسرعة لتخدم مقاصده، يستطيع أن يجعلها تبزغ فجأة، الأمر الذى إذا ما ترك لمجرى الطبيعة استغرق وقتا طويلا، إذ يكون النمو بطيئاً وتدريجياً. إن الوقاية الناشئة من اليقطينة بسيطة جداً ومع ذلك فقد **«فرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً»**

١ ـ لأنها كانت فى الواقع وقتئذ مريحة جداً له. قد يكون الشئ فى حد ذاته بسيطاً، بل تافهاً، ومع ذلك يكون نافعاً جداً وبركة جزيلة إذ يأتى فى وقته المناسب. إن اليقطينة فى موضعها المناسب قد تكون أكثر نفعاً من شجرة الأرز. قد تكون أدنى المخلوقات وبأ ثقيلاً، كما كان الذباب والبعوض لفرعون، أو بركه عظيمة، كما كانت اليقطينة ليونان، حسبما يسر الله بأن يجعلها.

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

٢ - وإذ كان وقتئذ تحت سلطان الأوهام فقد ابتهج بها جداً أكثر مما كان يحتاج الأمر، فرح بها فرحاً عظيماً، وافتخر بها.

(ملاحظة) كما يميل الأشخاص الحادى الطبع إلى أن يتضايقوا من أتفه المضايقات، هكذا يميلون إلى الانتفاخ بسبب أتفه الأمور التى تسرهم. قد تعمل لعبة صغيرة على تهدئة ولد صغير ثائر، كما كان الحل مع يقطينة يونان. لكن الحكمة والنعمة تعلماننا بأن نبكى من أجل متاعبنا كأننا لم نبك، ونفرح من أجل مسراتنا كأننا لم نفرح (١ كو ٧: ٣٠). يليق بنا أن نفرح ونشكر من أجل المخلوقات المسرة، لكن لا داعى لكى نفرح بها فرحاً عظيماً. فالله وحده هو الذى ينبغى أن يكون **«بهجة فرحى (١)»** (مز٤٣ :٤).

(ثالثاً) زوال هذه اليقطينة فجأة، تلك التى أنعشت نفسه، ثم عاد تعبه بعد زوالها ع ٧، ٨. الله الذى رتب له الراحة رتب له أيضاً الضيقة فى نفس الشيئ الذى أراحه. لم تأت الضيقة مصادفة. بل بترتيب وإعداد من الله.

١ - **«لقد أعد الله دودة»** لكى تقضى على اليقطينة. أن من أعطى أخذ، وكان ينبغى أن يبارك يونان الله فى كلتا الحالتين. لكن لأنه عندما انتفع باليقطينة لم يشكر الله من أجلها، فكان عدلا أن يحرمه الله منها. انظر إلى كل المخلوقات النافعة لنا، وماذا ينبغى أن نتوقعه منها، إنها كاليقطينة، جذورها فى الأرض، لا تحمى إلا بنسبة ضئيلة جداً بالمقارنة مع **«صخر**

---

(١) "فرحى الجزيل" حسب الترجمة الانكليزية

**الدهور»**. إنها تذبل، وتتلاشى مع الاستعمال، وسرعان ما نحرم منها.

لقد **«يبست»** اليقطينة في اليوم التالي لوجودها. ومسراتنا **«تخرج كالزهر ثم تنحسم(١)»** سريعاً (أى ١٤ : ٢). عندما نبتهج بها جداً، ونؤمل فيها كثيراً، فأننا سرعان ما تخيب آمالنا. أتفه شئ يجعلها تيبس وتذبل، ودودة صغيرة في جذر يقطينة كبيرة تقضى عليها. قد يكون شئ لا يرى ولا يلاحظ هو الذى يفعل هذا. يقطينتنا تذبل، ولا نستطيع أن نعلل السبب. وربما تكون اليقطينة التى فرحنا بها فرحاً عظيماً هى التى تيبس أولا، وربما تكون اليقطينة العزيزة جداً لدينا هى التى تيبس أولا.

لم يرسل الله ملاكاً لكى يقتلع يقطينه يونان، بل أرسل دودة **«فضربت اليقطينة»**. كانت اليقطينة لازالت قائمة، لكنه لم ينتفع بها قط ربما تستمر معنا مخلوقاتنا المسرة، لكنها تكون مريرة لأنفسنا. الخليقة مستمرة، لكن مسرتها تبددت. وبقاياها قد توبخنا من أجل حماقتنا فى فرحنا بها فرحاً عظيماً.

٢ ـ **«وأعد ريحاً»** لكى يشعر يونان بحاجته إلى اليقطينة ع ٨. وكانت الريح **«شرقية حارة (٢)»** جعلت حرارة الشمس عند شروقها عنيفة جداً على رأسه. **«فضربت الشمس على رأس يونان»** لم تلطف الريح حرارة الشمس بل زادتها حدة. وهكذا تعرض يونان المسكين لفعل الشمس والريح.

---

(١) تقطع حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) "عنيفة" حسب الترجمة الانكليزية

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(رابعاً) وبسبب هذا اغتاظ يونان ثانية ع ٨ **«فذبل فطلب لنفسه الموت»**. إن كان لابد أن تموت اليقطينة فينبغى أن أموت معها. يالحماقة ذلك الإنسان الذى يظن أن حياته مرتبطة بحياة الشعب.

(ملاحظة) إنه عادل عند الله أن الذين يحبون الشكوى لا يعدمون أن يجدوا ما يشكون منه، لكى تظهر حماقتهم، ولكى يشفوا منها إن أمكن. ثم انظر كيف أن حدة الطبع التى تتطرف فى ناحية تتطرف عادة فى ناحية أخرى. فيونان الذى كان فى نشوة الفرح ببزوغ اليقطينة صار فى شدة الحزن عند ما يبست. إن العواطف المتطرفة تضع أساساً للمتاعب المفرطة. إن ما نحبه أكثر من اللازم لما نحصل عليه نميل إلى أن نحزن من أجله أكثر من اللازم عند ما نفقده، وقد نرى حماقتنا فى كلتا الحالتين.

(خامسا) توبيخ الله له من أجل هذا. لقد بدأ الله يحاجه مرة أخرى :

**«فقال الله ليونان هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة»** ؟ ع٩

(ملاحظة) إن ذبول يقطينة أمر لا يليق بنا أن نغتاظ من أجله. عندما تحرمنا عناية الله من أقربائنا، أو ممتلكاتنا، أو مسراتنا، فينبغى أن نتحمل هذا بالصبر، ينبغى أن لا نغتاظ من أجل اليقطينة. قابلة للذبول، ونحن لا نتوقع منها إلا أن تذبل. وغيظنا من أجل ذبولها لن يعيدها إلى حالتها الأولى، بل نحن أنفسنا سوف نذبل مثلها. وإن ذبلت يقطينة واحدة فقد تنبت أخرى مكانها. لكن الذى ينبغى أن يسكت تذمراتنا بصفة خاصة هو إنه إن فنيت اليقطينة فالله لن يفنى، وإننا نجد فيه ما يكفى ليعوض كل خسائرنا.

فلنعترف إذن بأننا نفعل شراً، بل شراً جسيماً، إن اغتظنا من أجل يقطينة. وفى مثل هذه الحالة ينبغى أن **«نسكت أنفسنا كفطيم نحو أمه»** (مز ١٣١ : ٢).

(سادسا) تبريره لحدة طبعه وتذمره، وكان هذا أمراً غريباً جداً ع ٩. لقد قال **«اغتظت بالصواب حتى الموت»**. إنه أمر ردئ أن يتكلم المرء كلاماً خاطئاً. لكن إن كان قد قيل بتعجل، وإن كان ما قيل يسحب بسرعة ويصحح، فانه يصفح عنه. أما أن يتكلم كلاماً خاطئاً، ويصر عليه، فهذا شر مستطير. وهذا ما فعله يونان رغم أن الله نفسه وبخه، وانتظر منه أن يوبخ نفسه بعد أن لجأ إلى ضميره. انظر كيف يؤدى عدم كبح الشهوات الجامحة إلى نتائج وخيمة جداً، وكيف إنه من مصلحتنا ومن واجبنا أن نبذل كل الجهد لكى نقيد تلك الأسود الزائرة والدبب الثائرة. الخطية والموت مروعان جداً، ومع ذلك استهان يونان بكليهما فى حدة غيظه.

١ ـ لقد استهان بالله إذ هبّ فى وجه سلطانه، وقال إنه فعل حسناً، مع أن الله قال إنه عمل ردئ. كثيراً ما تغلبت حدة الغضب على الضمير، وألزمته ـ عند الالتجاء إليه ـ بأن يعطى حكما مغلوطاً، كما فعل يونان هنا.

٢ ـ واستهان بنفسه إذ تمنى أن يضحى بحياته، وظن أنه لا ضرر من أن يغتاظ حتى الموت، ويقتل نفسه بالغيظ. نقرأ فى (أى ٥ : ٢) **«أن الغيظ يقتل الغبى والغيرة تميت الأحمق»**. والذين يقتلون أنفسهم بحدة غضبهم، ويتعبون أنفسهم بضعفاتهم، هم فى الواقع حمقى وأغبياء.

++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++++

(سابعاً) استخدام كلامه ضده لإقناعه بأنه قد فعل شراً إذ تذمر على نجاة نينوى. من فمه دانه الله، ونحن نعتقد أنه قد غلب أمام هذه الدينونة، لأنه لم يعط أية إجابة، ونرجو أن تكون قد أعادته إلى صوابه، وخففت حدة طبعه.

١ ـ لننظر كيف حاجه الله ع ١٠، ١١. **«فقال الرب أنت شفقت على اليقطينة»**، بذلت كل جهدك، وكنت تتمنى أن تفعل أكثر لكي تبقيها حية، وتأسفت لأنها ذبلت. **«أفلا أشفق أنا على نينوى»**؟ أفما كان ينبغي أن أظهر أنا نحو نينوى نفس العطف الذى أظهرته أنت نحو اليقطينة، وأن أمنع الزلزلة التى كانت سوف تقلب نينوى، كما تمنيت أنت أن تمنع الدودة التى ضربت اليقطينة؟ تأمل يايونان.

(١) إن اليقطينة التى شفقت عليها واحدة، أما سكان نينوى، الذين أشفق أنا عليهم، فأنهم كثيرون. إنها هى **«المدينة العظيمة»**، العظيمة فى سكانها، كما يتضح من عدد أطفالها، الذين يقل عمرهم عن سنتين. فان عددهم مائه وعشرون ألفا **«إثنتا عشرة ربوة»**، الذين لم يصلوا إلى سن التمييز والإدراك بعد، **«الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم»**، فانهم لا يزالون أطفالا رضعاً. وقد ذكر هؤلاء بصفة خاصة لأن سن الطفولة ينظر إليه عادة أنه هو سن البراءة.

كان فى نينوى هذا العدد الكبير ممن لم يرتكبوا خطية فعلية، وبالتالى لم يشتركوا فى الخطية العامة، ومع ذلك لو كانت نينوى قد قلبت لأشتركوا فى النكبة العامة. **«أفلا أشفق أنا على نينوى»** من أجل هؤلاء؟ الله يعطف

جداً على الأطفال، وهو مستعد أن يشفق عليهم ويعولهم. بل هنا نرى مدينة بأكملها قد نجت من أجلهم، الأمر الذى يشجع الوالدين على تقديم أطفالهم لله بالإيمان والصلاة، حتى إذا ما عجزوا عن تقديم أية خدمة له، لأنهم **«لا يعرفون يمينهم من شمالهم»**، ولا يميزون بين الخير والشر، بين الخطية وعمل الواجب، فانهم يقدرون أن يشتركوا فى بركاته، وفى الحصول على الخلاص. لقد أظهر المخلص العظيم شفقة خاصة نحو الأولاد الذين قدموا إليه، عندما **«احتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم»** (مر١٠ : ١٦).

بل لقد عنى الله **«ببهائم كثيرة»** كانت فى نينوى، وكان يحق له أن يشفق عليها أكثر من شفقة يونان على اليقطينة، لأن حياة الحيوان أسمى بكثير من حياة النبات.

(٢) واليقطينة التى عنى بها يونان لم تكن ملكاً له. **«لم تتعب فيها ولا ربيتها»**. أما شعب نينوى، الذين شفق الله عليهم، فكانوا كلهم **«صنعة يديه»** وكلهم يدينون له بوجودهم، وهو الذى أبقى على حياتهم، وهو الذى غرسهم وأما هم. هو صنعهم، وهم كانوا له، ولذلك كان يحق له بأن يشفق عليهم، لأنه لا يمكن **«أن يرذل عمل يديه»** (أى ١٠ : ٣)، وهكذا حاج أيوب الله **«يداك كونتانى وصنعتانى. اذكر أنك جبلتنى كالطين. أفتعيدنى إلى التراب»**؟ أيمكن أن تهلكنى؟ (أى ١٠ : ٨ و٩).

(٣) واليقطينة التى شفق عليها يونان كانت قد نبتت فجأة، ولذلك كانت قليلة الأهمية. **«بنت ليلة كانت»**، أما نينوى فقد كانت مدينة قديمة، قائمة منذ أجيال، ولذلك لا يمكن نبذها بسهولة. إن الأشخاص

الذين أشفق أنا عليهم قضوا زمناً طويلاً في النمو، ولم ينموا بسرعة كاليقطينة. أفلا أشفق أنا على أولئك الذين شملتهم بعنايتي سنوات طويلة؟

(٤) واليقطينة التي شفق عليها يونان سرعان ما هلكت «بنت ليلة هلكت»، لقد ذبلت فقضى عليها. أما النفوس الغالية في نينوى التي شفق الله عليها فليست حياتها قصيرة، إنها خالدة، ولذلك يجب أن تعامل بمنتهى العناية والرقة. إن نفساً واحدة أغلى من العالم كله، وربح العالم لا يعوض عن خسارتها. فيقيناً إن نفساً واحدة أغلى من يقطينات كثيرة، ومن عصافير كثيرة. هكذا يعنى الله، وهكذا ينبغي أن نعنى نحن أيضاً ببني البشر أكثر مما يعنى ثروات العالم وتنعماته.

٢ ـ من كل هذا نتعلم:

(١) أنه إن كان الله يسمح لشعبه بالسقوط في الخطية فانه لا يسمح لهم بالبقاء فيها. لكنه يتخذ خطوات فعالة ليظهر لهم أخطاءهم، ويعيدهم إلى أنفسهم وإلى صوابهم. ونحن نعتقد بأن يونان بعد هذا سر بنجاة نينوى كما استاء من قبل من نجاتها.

(٢) أن الله يبرر نفسه في طرق نعمته نحو الخطاة التائبين الراجعين إليه، كما يبرر نفسه في طرقه العادلة نحو الخطاة الذين يصرون على عنادهم. ومع أنه يوجد من يتذمرون من رحمة الله، لأنهم لا يفهمونها، فأفكاره في هذه الناحية تعلو عن أفكارنا، كما تعلو السماء عن الأرض، إلا أنه يبين هنا أنه يتصرف كما يليق به، وأنه «يتبرر في أقواله» (مز ٥١ : ٤)

انظر مقدار الجهد الذى اتخذه الله لإقناع يونان بأنه كان يليق بأن تنجو نينوى، لقد قال يونان **«اغتظت بالصواب»**، أو **«فعلت حسناً إذ اغتظت»**. لكنه لم يقدر أن يبرهن على هذا. أما الله فانه يقول، ويقدر أن يبرهن على ما يقول، **«إننى أفعل حسناً إذ أكون رحيماً»**. وإنه لأمر مشجع جداً للخطاة المساكين أن يرجوا بأن يجدوا رحمة من الله، وأنه مستعد أن يبرر نفسه بأظهار الرحمة نحو الذين يجعلهم آثاراً للرحمة، بعكس الذين عينهم شريرة لأنه هو صالح.

سوف يدرك أولئك المتذمرون هذا التعليم وهو أنه مهما كانت نفوسهم ومبادئهم ضيقة بحيث يريدون أن يحتكروا النعمة الإلهية لأنفسهم، ولمن يماثلونهم فى آرائهم، فانه يوجد **«رب واحد للجميع غنى فى الرحمة لجميع الذين يدعون به»** (رو ١٠ : ١٢، أف ٢ : ٤)، وأنه **«فى كل أمة»**، فى نينوى كما فى إسرائيل، **«الذى يتقى الله ويصنع البر مقبول عنده»** (أع ١٠ : ٣٥)، وأن من يتوب، ويرجع عن طريقه الرديئة، يجد رحمة عنده.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٠/٣٢١٥

طبع بشركة هارمونى للطباعة   ت : ٦١٠٠٤٦٤



مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ - ٥٧٧٧٤٤٨